

# المسحاة

مجلة

المجلد الثاني عشر  
الجزء التاسع والعشر



إهداء من

طبعة دار الوفاء  
للطباعة والنشر

تابعوا ...



WWW.ALUKAH.NET

بؤني الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي  
غيا كبيرا ومباذ صكر ألا أدعو إلا بالباب

# المجلد الثاني

١٣١٥

فبئر جادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنار الطريق

(مصر - الخميس ٣٠ رمضان ١٣٢٧ - ١٤ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٠٩م)

## ابو حامد الغزالي (\*)

٦

« رأيه في اثبات مذهب أهل الحق من المسلمين »

« و في مذهب الباطنية أهل التعليم »

( وفيه رأيه في آيات النبوة وفي خروج المسلمين من الخلاف )

(تمهيد) كان الاسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين ديناً واحداً والمسلمون أمة واحدة لا فرق فيهم ولا مذاهب ثم حدثت المذاهب في الأصول والفروع ووقع المسلمون فيما نهاهم الله تعالى عنه من الاختلاف والتفرق إلى شيع متعددة كل شيع منها تتحلل مذهباً ولم يضر المسلمين في دينهم ودنياهم شيء كهذا التفرق ولذلك لم يشدد القرآن في النهي عن شيء كما شدد في النهي عن الخلاف والتفرق كما بينا ذلك في تفسير القرآن الحكيم وفي مواضع كثيرة من المنار وكان شر المذاهب وأشأمها في هذه الأمة مذهب الباطنية الذين ذهبوا إلى ان للدين ظاهراً وباطناً وان الباطن منه هو الحق المراد لله تعالى وانه لا يمكن ان يعرف

(\*) تأيه لما نشر في (٦٠١) من المجلد الحادي عشر



## ٢٧٢ دين الباطنية ونسبته إلى الشيعة والصوفية ومقلدة المذاهب ( المارح ٩ ١٢م )

من النظر في الكتاب والسنة بطرق النظر المعروفة في الأصول وقوانين اللغة التي للألفاظ والمعاني بل لا بد في كل عصر من إمام معصوم يؤخذ عنه الدين بالتسليم الأعمى حتى إذا قال إن الشمس والقمر في القرآن لا يراد بهما هذان الكوكبان المعروفان وإنما يراد بهما فلان وفلان وجب تصديقه فلا يمارض شيء من تعليه بمخالفة اللغة ولا العقل ولا النص !!!

وان لهذا المذهب بل الدين الذي ظهر بمظهر المذهب درجات في الاعتقاد ودرجات في الدعوة ليس هذا المكان بمحل لبيانها . والدرجة الأخيرة منها هي اعتقاد أن إمامهم هو الله الذي خلق الخلق وأرسل الرسل وأنزل الكتب ( تعالى الله عما يقولون ) وقد ظهروا في أطوار وتسموا بأسماء أشهرها في زمن الغزالي الاسماعيلية وكان رئيسهم يومئذ حسن بن الصباح الشهير . وآخر فرقهم المشهورة في زماننا هذا فرقة البابية أو البهائية من البابية

ما ظهرت بدعة ولا ضلالة قام بها أهل مذهب إلا ووصل إلى غيرها من المذاهب شرها ، وسرى إلى أهلها ضررها ، وكان أقرب الفرق إلى الباطنية فرقة الشيعة لقولهم بعصمة الأئمة الاثني عشر من أهل البيت ( عليهم الرضوان والسلام ) بل كانت الباطنية في الزمن الماضي والحاضر من الشيعة كالصيديين بمصر والبابية في فارس ، وهم ليسوا في الحقيقة من الشيعة ولا من المسلمين والشيعة تقول بكفرهم كثيرها كذلك يشبه مذهبهم بمذهب الصوفية الذين يقولون إن القرآن ظاهراً وباطناً وان للدين أسراراً لا يفهمها إلا الخواص ، ولكن فرقاً عظيماً بين الصوفية والباطنية فالغزالي الذي كان أشد العلماء على الباطنية حتى إنه صنف الكتب في الرد عليهم كان صوفياً يقول إن للدين أسراراً كما سيأتي عنه في هذه الترجمة مع بيان الفصل فيه بين الصوفية والباطنية

بل إن مقلدة المذاهب الأربعة في الفقه والمذهبيين الأشعري والماتريدي في الكلام وهم من اتباع أئمة أهل السنة قد سرت إليهم دعوة الباطنية الأولى فمملوا بها في الغالب فجمعوا أئمتهم معصومين وإن لم يسموهم معصومين فبدأ التقليد عند أكثرهم إن الواجب اتباع ما ثبت في المذهب من غير بحث ولا دليل وأنه لا يجوز رد شيء من

## (المنار ج ٩ م ١٢) الفرق بين الباطنية ومقلدة المذاهب الأخرى ٢٧٣

المذهب لما يظهر انه مخالف له من آية قرآنية وسنة نبوية ، بناء على ان امام المذهب وعلماء اعلم بالكتاب والسنة فالقول ما يقولونه وهو الدين الواجب اتباعه على كل أحد! والفرق بينهم وبين الباطنية أن الباطنية تقول بامام واحد يتبع في كل شيء من الأصول والفروع وهم يقولون بامميين في العقائدهما الاشعري والماتريدي وأربعة في فروع الاعمال كل من خالفهم يكون ضالاً خارجاً عن هداية الاسلام إما إلى الكفر أو البدعة وإما إلى الفسق! بل اوجبوا اتباع من لا يحصي عددهم من علماء هذه المذاهب وان لم يسموهم كلهم أئمة فهو لاء مقلدة سنافورة وجاوه بقدمون أحمد بن حجر الهيتمي ويوجبون اتباعه ديناً في كل ما دونه في كتبه وان خالف نص الشافعي الذي هو إمامه «ولكل قوم ابن حجر»

إذا تمهد هذا فاعلم ان أبا حامد الغزالي قد أبطل في رده على الباطنية مذهبهم والنزعات التي سرت منه الى غيرهم من أهل المذاهب الاسلامية أو ما وافقه منها وان لم يكن بالسريان ، وأبطل التقليد مطلقاً كما أبطله كتاب الله وسلف الامة حتى أئمة الفقه الأربعة ومن اخذ عنهم ، وأثبت انه ليس في البشر إمام معصوم يجب اتباعه غير محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني منذ بعثته الى آخر الزمان

أحسن ما وصل إلينا من كتب أبي حامد في ابطال مذهب الباطنية ويسمى مذهب التعليم كتاب ( القسطاس المستقيم ) وهو يشرح فيه مناظرة دارت بينه وبين أحد دعاة الباطنية وسماه بهذا الاسم لأن الباطني لما سأله بماذا يزن معرفته بألراي والقياس الذي جرى عليه المسلمون في الاستنباط من النصوص وهو مثار الخلاف بين الناس ، لما فيه من التعارض والالتباس ، أم بميزان التعليم باتباع الامام المعصوم؟ اجابه أبو حامد بأنه يزنهما بالقسطاس المستقيم كما أمر الله في كتابه . ثم استنبط له من القرآن خمسة موازين يعرف بها الحق من الباطل في كل علم . ثم بين له ان الشيطان له موازين تضل الناس وهي طرق الوسوس والاهام ومسارب خطأ الناس في الفهم والعلم ، ثم شرح له المقصد الذي أشرنا اليه فقال

(المنار ج ٩) ( ٨٥ ) ( المجلد الثاني عشر )

## ٦٧٤ الاستغناء عن الامام المعصوم في الاسلام ( المارچ ٩ م ١٢ )

« القول في الاستغناء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبعلماء أئمة عن امام معصوم آخر »  
« وبيان معرفة صدق محمد صلى الله عليه وسلم بطريق أوضح من النظر في المعجزات »  
« وأوثق منه وهو طريق المعارف »

قال (أي الباطني) : لقد أكلت الشفاء وكشفت الغطاء وأتيت باليد البيضاء لكن بنيت قصراً وهدمت مصراً فاني الى الآن كنت أتوقع ان أعلم منك الوزن بالميزان واستفتي بك وبالقُرآن عن الامام المعصوم فالآن اذ ذكرت هذه الدقائق في مداخل الغلط فقد أيسرت من الاستقلال به فاني لا آمن ان أغلط لو اشتغلت بالوزن وقد عرفت الآن لم اختلف الناس في هذه المذاهب وذلك لانهم لم يتفطنوا لهذه الدقائق كما فطنت فغلط بعضهم وأصاب بعضهم فاذا أقرب الطرق لي ان أعول على الامام المعصوم حتى أتخلص من هذه الدقائق

قلت : يا مسكين معرفتك بالامام الصادق ليست ضرورية فهي اما ان تكون تقليدا للوالدين أو موزونة بشيء من هذه الموازين فان كل علم ليس أوليا فبالضرورة يكون حاصله عند صاحبه بقيام هذه الموازين في نفسه وان كان هو لا يشعر به فانك عرفت صحة ميزان التقدير بانتظام الأصلين في ذهنك التجريبي والحسي وكذلك سائر الناس وهم لا يشعرون به ومن يعرف مثلا ان هذا الحيوان غير حامل لأنه بغل عرفه بانتظام الأصلين الذين ذكرناها في صدر الكتاب وان كان لا يشعر بمصدر علمه وكذلك كل علم في العالم يحصل للانسان فيكون كذلك فانت ان أخذت اعتقاد العصية في الامام الصادق بل في محمد صلى الله عليه وسلم تقليدا للوالدين والزعماء لم تتميز عن اليهود والنصارى والمجوس فانهم كذلك فعلوا وان أخذته من الوزن بشيء من هذه الموازين فلعلك غلطت في دقيقة من دقائقه فينبغي على زعمك ان لا تثق به

قال : صدقت فأين الطريق فقد سددت على طريق التعليم والوزن جميعا قلت : هيات راجع القرآن فقد علمك الطريق إذ قال تعالى « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » ولم يقل سافروا الى الامام المعصوم فاذا هم مبصرون فانت تعلم ان المعارف كثيرة فلو ابتدأت في كل



مشكلة سفرنا الى الامام المعصوم بزعمك طال عناؤك وقل علمك لكن طريقك أن تعلم مني كيفية الوزن وتستوفي شروطه فان أشكل عليك شيء عرضته على الميزان وتفكرت في شروطه بفكر صاف وجد واف فاذا أنت مبصر . وهذا كما لوحبت ما للبقال عليك أولك عليه أو قسمت في مسألة من مسائل الفرائض وشككت في الاصابة والخطأ فيطول عليك أن تسافر الى الامام المعصوم ولكن تحكم علم الحساب وتذكره ولا تزال تعاوده مرة بعد أخرى حتى تستيقن قطما انك ما غلطت في دقيقة من دقائقها وهذا يعرفه من يعرف علم الحساب وكذلك من يعرف الوزن به كما أعرفه فينتهي به التذكر والتفكر والمعاودة مرة بعد أخرى الى اليقين الضروري بانه ما غلط ، فان لم تسلك هذه الطريق لم تفلح قط وصرت تشكك بلعل وعسى ولعلك قد غلطت في تقليدك لآماءك بل للنبي الذي آمنت به فان معرفة صدق النبي صلى الله عليه وسلم ليست ضرورية ( أي ليست بديهية معلومة بالضرورة )

فقال : لقد ساعدتني على ان التعلم حق وان الامام هو النبي صلى الله عليه وسلم واعترفت بان كل واحد لا يمكنه أن يأخذ العلم من النبي صلى الله عليه وسلم دون معرفة الميزان وانه لا يمكنه معرفة تمام الميزان إلا منك فكأنك ادعيت الامامة لنفسك خاصة فما برهانك ومعجزتك فان امامي اما أن يقيم معجزة واما ان يحتاج بالنص المتعاقب من آبائه اليه فأين نصك وأين معجزتك ؟

فقلت : اما قولك انك تدعي الامامة لنفسك خاصة فليس كذلك فاني ارجو أن يشاركني غيري في هذه المعرفة فيمكن أن يتعلم منه كما يتعلم مني فلا أجعل التعلم وقفاً على نفسي . واما قولك تدعي الامامة لنفسك فاعلم أن الامام قد نعتني به الذي يتعلم من الله بواسطة جبريل وهذا لا ادعيه لنفسي وقد نعتني به الذي يتعلم من الله بغير جبريل ومن جبريل بواسطة الرسول ولهذا سمي علي رضي الله عنه اماماً فانه تعلم من الرسول لا من جبريل وأنا بهذا المعنى ادعي الامامة لنفسني . أما برهاني عليه فواضح من النص ومما تعتقده معجزة فان ثلاثة انفس لو ادعوا عندك انهم يحفظون القرآن . فقلت ما برهانكم فقال أحدهم برهاني انه نص علي الكسائي استاذ المقرئين اذ نص علي استاذي واستاذي نص علي فكان الكسائي نص علي

وقال الثاني اني أقلب العصا حية قلب العصا حية ، وقال : الثالث برهاني اني أقرأ جميع القرآن بين يديك من غير مصحف فليت شعري أي هذه البراهين أوضح عندك وقلبك بايها أشد تصديقاً؟ فقال بالذي قرأ القرآن فهو غاية البراهين اذ لا يخالفني فيه ريب، أما نص استاذة عليه ونص الكسائي على استاذة فيتصور ان تقع فيه اغاليط لا سيما عند طول الاسفار، وأما قلب العصا حية فلهذه فعل ذلك بحيلة وتليس وان لم يكن تليسا ففأيته انه فعل عجيب ومن ابن يلزم ان من قدر على فعل عجيب ينبغي ان يكون حافظاً للقرآن

قلت : فبرهاني اذا أيضاً اني كما عرفت هذه الموازين فقد عرفت وأفهمت وازلت الشك عن قلبك في صحته فيلزمك الايمان بامامي كما انك اذا تعلمت الحساب وعلمته من استاذ فانه اذا علمك الحساب حصل لك علم بالحساب وعلم آخر ضروري بأن استاذك حاسب وعالم بالحساب كذلك فقد علمت من تعليمه علمه وصحة دعواه ايضا في انه حاسب وكذلك آمنت أنا بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وصدق موسى عليه السلام لا بشق القمر ولا بقلب العصا حية بمجردهما فان ذلك يتطرق اليه حينئذ التباس كثير فلا يوثق به بل من يؤمن بقلب العصا حية يكفر بخوار العجل ، فان التعارض في عالم الحس والشهادة كثير جدا لكنني تعلمت الموازين من القرآن ثم وزنت بها جميع المعارف الالهية بل احوال المماد وعذاب القبر وعذاب أهل الفجور وثواب أهل الطاعة كما ذكرته في كتاب جواهر القرآن فوجدت جميعها موافقة لما في القرآن ولما في الاخبار فتبينت ان محمداً صلى الله عليه وسلم صادق وان القرآن حق وفعلت كما قال علي رضي الله عنه اذ قال « لا تعرف الحق بالرجال اعرف الحق تعرف أهله » فكانت معرفتي بصدق النبي صلى الله عليه وسلم ضرورة كعرفتك اذا رأيت رجلاً عريياً يناظر في مسألة من مسائل الفقه ويحسن فيها ويأتي بالفقه الصحيح الصريح فإنك لا تمارى في انه فقيه ويقينك الحاصل به أوضح من اليقين الحاصل بفقهه لو قلب الف عصا ثعباناً لان ذلك يتطرق اليه احتمال السحر والتليس والطمس وغيرها ولا يحصل العلم بالقرآن بينها وبين هذه الاشياء وكونها معجزة الا بعد بحث طويل ونظر دقيق وبحصل به ايمان ضعيف هو ايمان العوام والمتكلمين فإما إيمان

## (المنار ٩م ١٢) طريق رفع الاختلاف الديني وإزالته ٦٧٧

ارباب المشاهدة الناظرين من مشكاة الربوبية فلا يكون كذلك  
 فقال : فأننا أيضا اشتهي أن أعرف النبي صلى الله عليه وسلم كما عرفته وقد ذكرت  
 ان ذلك لا يعرف إلا بأن توزن جميع المعارف الإلهية بهذا الميزان وما اتضح عندي  
 ان جميع المعارف الدينية يمكن وزنها بهذه الموازين فبم اعلم ذلك ؟  
 قلت : هيات لا أدعي اني ازن بها المعارف الدينية فقط بل ازن بها العلوم  
 الحسائية والهندسية والطبيعية والفقهية والكلامية وكل علم حقيقي غير وضي فاني أميز  
 حقه عن باطله بهذه الموازين وكيف لا وهو القسطاس المستقيم والميزان الذي هو  
 رفيق الكتاب والقرآن في قوله تعالى : لقد ارسلنا رسلنا بالبينات وانزلنا معهم الكتاب  
 والميزان ليقوم الناس بالقسط ، وأمام معرفتك بقدرتي على هذا فلا تحصل لانبص ولا قلب  
 المعصائب انما ولكن تحصل بأن تستكشف ذلك نجرة وامتحننا فمدعي الفروسية لا ينكشف  
 صدقه حتى يركب فرسا وبركض ميدانا فسلي عما شئت من العلوم الدينية لا تكشف  
 لك الغطاء عن الحق فيه واحدا واحدا وازنه بهذا الميزان وزنا يحصل لك علم  
 ضروري بأن الوزن صحيح وان العلم المستفاد منه مستيقن ومن لم يجرب لم يعرف .  
 فقال : وهل يمكنك ان تعرف جميع الحقائق والمعارف الإلهية جميع الخلق  
 قرفع الاختلافات الواقعة بينهم ؟ قلت : هيات لا أقدر عليه وكان امامك المعصوم  
 الى الآن قد رفع الاختلافات بين الخلائق وازال الاشكالات عن القلوب بل  
 الانبياء متى رفعوا الاختلاف ومتى قد روا عليه ؟ بل اختلاف الخلق حكم ضروري  
 أزلي « ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك »  
 أفأدعي أن أردت قضاء الله الذي قضى به في الازل ؟ أو يقدر امامك ان يدعي  
 ذلك ؟ فان كان يدعيه فلم ادخره الى الآن والدنيا طافحة بالاختلافات ؟  
 وايت شعري أريئس الامة علي بن ابي طالب رضي الله عنه كان سبب رفع الاختلافات  
 بين الخلق اوسبب تأسيس اختلافات لا تنقطع أبد الدهر ؟

« القول في طريق نجات الخلق من ظلمات الاختلافات »

فقال : كيف نجات الخلق من هذه الاختلافات ؟ قلت : إن اصفوا إلي رفعت  
 لا اختلافات بينهم بكتاب الله تعالى ولكن لا حيلة في إصفايتهم فانهم لم يصفوا بأجمعهم



## ٦٧٨ معالجة الخلاف عند الطبقات الثلاث ( المناهج ٩ م ١٢ )

الى الأنبياء ولا الى امامك فكيف يصفون إليّ وكيف يجتمعون على الاصغاء وقد حكم عليهم في الازل بانهم لا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم .  
وكون الخلاف بينهم ضروريا تعرفه من كتاب « جواب مفصل الخلاف » وهو  
الفصول الاثني عشر .

فقال : فلو أصغوا كيف كنت تفعل ؟ قلت : كنت أعاملهم بآية واحدة من كتاب الله تعالى إذ قال « وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط وأنزلنا الحديد » الآية وانما أنزل هذه الثلاث لأن الناس ثلاثة أصناف وكل واحد من الكتاب والحديد والميزان علاج قوم .

فقال : فمن هم وكيف علاجهم ؟ قلت الناس ثلاثة أصناف عوام وهم أهل السلامة البدنية وهم أهل الجنة ، وخواص وهم أهل الذكاء والبصيرة ويتولد بينهم طائفة هم أهل الجدل والشغب فيتبعون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة : أما الخواص فإني أعالجهم بأن أعلمهم الموازين القسط وكيفية الوزن بهافيرتفع الخلاف بينهم على قرب وهوؤلاء قوم اجتمع فيهم ثلاث خصال إحداها القرينة النافذة والفطنة القوية وهذه عطية فطرية وغريزة جبلية لا يمكن كسبها ، والثانية خلوص باطنهم من تقليد وتمصّب لمذهب موروث ومسموع فان المقلد لا يصنع والبليد وان أصغى فلا يفهم ، الثالثة أن يعتقد فيّ اني من أهل البصيرة بالميزان ومن لم يؤمن بأنك تعرف الحساب لا يمكنه أن يتعلمه منك

والصنف الثاني البدن وهم جميع العوام وهوؤلاء هم الذين ليس لهم فطنة لفهم الحقائق وان كانت لهم فطنة فطرية فليس لهم داعية الطاب بل شغفتهم الصناعات والحرف وليس فيهم أيضا داعية الجدل بخلاف المتكاسين في العلم مع قصور الفهم عنه فهوؤلاء لا يختلفون ولكن يتخيرون بين الاثمة المختلفين فأدعو هوؤلاء الى الله بالوعظة كما ادعو أهل البصيرة بالحكمة وادعو أهل الشغب بالمجادلة وقد جمع الله سبحانه وتعالى هذه الثلاثة في آية واحدة كما تلوته عليك أولا فأقول لهم ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعرابي جاءه فقال علمني من غرائب العلم فعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ليس أهلا لذلك فقال « وماذا عملت في رأس العلم » أي

الايمان والتقوى والاستعداد للآخرة « اذهب فأحكم رأس العلم ثم ارجع لاعلمك من غرائب » فأقول للعامي ليس الخوض في الاختلافات من عشك فادرج فاياك أن تخوض فيه أو تصفى اليه فهلك فانك اذا صرفت عمرك في صناعة الصياغة لم تكن من أهل الحياكة وقد صرفت عمرك في غير العلم فكيف تكون من أهل العلم (١) ومن أهل الخوض فيه فاياك ثم إياك أن تهلك نفسك فكل كبيرة تجري على العامي أهون من أن يخوض في العلم فيكفر من حيث لا يدري .

فان قال : لا بد من دين أعتقده واعمل به لا صل به الى المفرة والناس مختلفون في الأديان فبأي دين تأمرني أن آخذ أو أعول عليه ؟ فأقول له للدين أصول وفروع والاختلاف انما يقع فيها أما الأصول فليس عليك أن لاتعتقد فيها إلا ما في القرآن فان الله تعالى لم يستر عن عباده صفاته وأسماءه فعليك أن تعتقد أن لا إله إلا الله وان الله حي عالم قادر سميع بصير جبار متكبر قدوس ليس كمثل شيء الى جميع ما ورد في القرآن واتفق عليه الأئمة فذلك كاف في صحة الدين وان تشابه عليك شيء قل آمنا به كل من عند ربنا واعتقد كل ما ورد في اثبات الصفات ونفيها على غاية التعظيم والتقديس مع نفي الماثلة واعتقاد انه ليس كمثل شيء وبعد هذا لا تلتفت الى القيل والقال فانك غير مأمور به ولا هو على حد طاقتك . فان أخذ يتحذلق ويقول قد علمت انه عالم من القرآن ولكني لأعلم انه عالم بالذات أو بعلم زائد عليه وقد اختلف فيه الأشعرية والمعتزلة فقد خرج بهذا عن حد العوام إذ العامي لا يلتفت قلبه الى مثل هذا ما لم يحركه شيطان الجدل فان الله لا يهلك قوماً الا يوتئهم الجدل كذلك ورد الخبر واذا التحق بأهل الجدل فساد كره علاجهم .

هذا ما أعظ به في الأصول وهو الحوالة على كتاب الله فان الله أنزل الكتاب والميزان والحديد وهو لاء أهل الحوالة على الكتاب

وأما الفروع فأقول لا تشغل قلبك بمواقع الخلاف ما لم تفرغ عن جميع المتفق عليه فقد اتفقت الامة على ان زاد الآخرة هو التقوى والورع وان الكسب

(١) يريد العلم بأصول العقائد والاحكام ومذاهب الخلاف فيها

## ٦٨٠ طريق ترجيح اقوال احد الأئمة على الآخر ( المار ج ٩ م ١٢ )

الحرام والمال الحرام والغنية والنميمة والزنا والسرقعة والخيانة وغير ذلك من المحظورات حرام والفرائض كلها واجبة فان فرغت من جميعها علمتك طريق الخلاص من الخلاف . فان هو طالبني بها قبل الفراغ من هذا كله فهو جدي وليس بعامي ومتى تفرغ العامي من هذا الى مواضع الخلاف ؟ أفرأيت رفقائك قد فرغوا من جميع هذا ثم أخذ إشكال الخلاف بمخفقهم ؟ هيئات ما أشبه ضعف عقولهم في خلافهم إلا بعقل مريض به مرض أشرف على الموت وله علاج متفق عليه بين الأطباء وهو يقول قد اختلفت الأطباء في بعض الادوية انها حارة أو باردة وربما اقتقرت اليه يوما فأنا لا أعالج نفسي حتى أجد من يطعني رفع الخلاف فيه

نعم لو رأيتم صالحا قد فرغ من حدود التقوى كلها . وقال : ها أنا ذا تشكل عليّ مسائل فاني لا أدري اتوضأ من اللبس والقيء والرغاف وانوي الصوم بالليل في رمضان أو بالنهار الى غير ذلك . فأقول له ان كنت تطلب الامان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع فتوضأ من كل ما فيه خلاف فان كل من لا يوجبه يستحبه وأنو الصوم بالليل في رمضان فان من لا يوجبه يستحبه . فان قال هو ذا يتقل علي الاحتياط ويعرض لي مسائل تدور بين النفي والاثبات وقال لا أدري أقنت في الصبح ام لا وأجهر بالتسمية ام لا فأقول الآن اجتهد مع نفسك وانظر الى الأئمة ايهم افضل عندك وصوابه أغلب على قلبك كما لو كنت مريضا وفي البلد اطباء فانك تختار بعض اطباء باجتهادك لا بهواك وطبعك فيكفئك مثل ذلك الاجتهاد في امر دينك فمن غلب على ظنك انه الأفضل فاتبه (١) فمن أصاب فيما قال عند الله فله في ذلك اجران وان أخطأ فله عند الله في ذلك أجر واحد وكذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ قال « من اجتهد فأصاب فله أجران ومن اجتهد فأخطأ فله اجر واحد » ورد الله تعالى الأمر الى أهل الاجتهاد وقال تعالى « لعلهم الذين يستنبطونه منهم » وارتضى الاجتهاد لأهله اذ قال رسول الله صلى

(١) ليس هذا امرا بالتقليد الذي يبطله سابقا ولاحقا وانما هو امر بنوع من الاجتهاد لشخص لا يكاد يوجد على فرض وجوده فقد امره أولا ان يجتهد في نفسه ثم في الأئمة الذين اشتبه في أي اقوالهم في تلك المسائل ارجح وان يأخذ بقول من رأى قوله اصوب ولا يكون ذلك الا بعد النظر في دليله . غاية الامر ان اجتهاده لا يكون مطلقا بل منتسبا الى من رجح دليله



## (المناج ٩ م ١٢) ترجمة الغزالي — الدين والفرق والمذاهب ٦٨١

الله عليه وسلم لمعاد « بم تحكم؟ » قال بكتاب الله قال « فان لم تجد؟ » قال بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فان لم تجد؟ » قال أجتهد رأيي . قال ذلك قبل ان أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأذن له فيه فقال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله » ففهم من ذلك انه مرضي به من رسول الله صلى الله عليه وسلم لمعاد وغيره كما قال الاعرابي اني هلكت واهلكت واقمت اهلي في نهار رمضان فقال « أعتق رقبة » ففهم ان التركي أو الهندي لو جامع أيضا لزمه الاعتاق وهذا لأن الخلق ما كفوا الصواب عند الله فان ذلك غير مقدور عليه ولا تكليف بما لا يطاق بل كفوا ما يظنونه صوابا كما لم يكفوا الصلاة بثوب طاهر بل بثوب يظنون انه طاهر فلو تذكروا نجاسته لم يلزمهم القضاء اذ نزع رسول الله صلى الله عليه وسلم نعله في اثناء الصلاة لما انبأ جبريل أن عليه قدرا ولم يعد الصلاة ولم يستأنف وكذلك لم يكلف ان يصلي الى القبلة بل الى جهة يظن انها القبلة بالاستدلال بالجبال والكواكب والشمس فان اصاب فله اجران والا فله اجر واحد ولم يكفوا أداء الزكاة الى الفقير بل الى من ظنوا فقره لان ذلك لا يعرف باطنه ولم يكلف القضاء في سفك الدماء واباحة الفروج طلب شهود يملون صدقهم بل من يظنون صدقهم واذا جاز سفك دم بظن يحتمل الخطأ وهو ظن صدق الشهود فلم لا تجوز الصلاة بظن شهادة الادلة عند الاجتهاد !

وليت شعري ماذا يقول رفقاؤك في هذا ؟ يقولون اذا اشتبهت عليه القبلة يؤخر الصلاة حتى يسافر الى الامام ويسأله أو يكلفه الاصابة التي لا يطيقها أو يقول اجتهد لمن لا يمكنه الاجتهاد اذ لا يعرف ادلة القبلة وكيفية الاستدلال بالكواكب والجبال والرياح ؟ قال لا شك في انه يأذن له في الاجتهاد ثم لا يؤثمه اذا بذل كنه مجهوده وان اخطأ أو صلى الى غير القبلة

قلت فاذا كان من جمل القبلة خلفه معذورا مأجورا فلا يبعد ان يكون من اخطأ في سائر الاجتهادات معذورا فالجهدون ومقلدوهم كلهم معذورون بعضهم مصيبون ما عند الله وبعضهم يشاركون المصيبين في احد الاجرين فمناصبهم متقاربة وليس لهم

(المناج ٩ م ١٢) (٨٦) (المجلد الثاني عشر)

## ٦٨٢ دعوة أهل الجدل الى الوحدة وعدم الخلاف ( المار ج ٩ م ١٢ )

ان يتعاندوا وان يتعصب بعضهم مع بعض لا سيما والمصيب لا يتعين وكل واحد منهم يظن انه مصيب كما لو اجتهد مسافران في القبلة فاختلغا في الاجتهاد فحقهما ان يصلي كل واحد الى الجهة التي غلبت على ظنه وان يكف انكاره واعراضه واعتراضه على صاحبه لانه لم يكلف إلا استعمال موجب ظنه اما استقبال عين القبلة عند الله فلا يقدر عليه وكذلك كان معاذ في اليمن يجتهد لاعلى اعتقاد انه لا يتصور منه الخطأ لكن على انه ان اخطأ كان مهذورا وهذا لان الامور الوضعية الشرعية التي يتصور ان تختلف بها الشرائع يقرب فيها الشيء من تقيضه بعد كونه مظلونا في سر الاستبصار واما ما لا تتغير فيه الشرائع فليس فيه اختلاف وحقيقة هذا الفصل تعرفه من اسرار اتباع السنة وقد ذكرته في الاصل العاشر من الاعمال الظاهرة من كتاب جواهر القرآن وأما الصنف الثالث وهم أهل الجدل فاني ادعوهم بالتلطف الى الحق واعني التلطف أن لا اتعصب عليهم ولا اغفهم لكن ارفق واجادلهم بالتي هي أحسن وكذلك أمر الله تعالى رسوله ومعنى المجادلة بالاحسن ان آخذ الاصول التي يسلمها الجدلي واستنتج منها الحق بالميزان المحقق على الوجه الذي اوردته في كتاب الاقتصاد والى ذلك الحد فان لم يقنع ذلك لتشوفه بفطنته الى مزيد كشف رقيقته الى تعليم الموازين فان لم يقنعه بلادته واصواره على تعصبه ولجاجة وعناده عاجلته بالحديد فإن الله سبحانه جعل الحديد والميزان قريني الكتاب لينهم منه ان جميع الخلائق لا يقومون بالقسط إلا بهذه الثلاث فالكتاب للعوام والميزان للخوادم والحديد الذي فيه بأس شديد للذين يثبمون ما تشابه من الكتاب ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ولا يعلمون ان ذلك ليس من شأنهم وانه لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم دون اهل الجدل واعني باهل الجدل طائفة فيهم كياسة ترقوا بها عن العوام ولكن كياستهم ناقصة اذ كانت الفطرة كاملة ولكن في باطنهم خبث وعناد وتعصب وتقليد فذلك يمنعهم عن ادراك الحق وتكون هذه الصفات أكنة على قلوبهم ان يفقهوه وفي آذانهم وقراكن لم تهلكهم إلا كياستهم الناقصة فان الفطنة البتراء والكياسة الناقصة شر من البلاهة بكثير وفي الخبر « إن أكثر أهل الجنة البله وان عليين لذوي الالباب » (١) ويخرج من جملة

« ١ » المنارة : رواه البيهقي في الشعب والبراز في مسنده هكذا « أكثر أهل الجنة البله » وهو ضعيف

## (المناج ٩م ١٢) طرق دعوة الاصناف الثلاثة الى وحدة الدين ٦٨٣

الفريقين الذين يجادلون في آيات الله وأولئك أصحاب النار ويزعم الله بالسلطان ما لا يزع القرآن وهو لا، ينبغي ان يمنعوا من الجدل بالسيف والسنان كما فعل عمر رضي الله عنه برجل اذ سأله عن آيتين متشابهتين في كتاب الله تعالى فعلاه بالدره وكما قال مالك رضي الله عنه لما سئل عن الاستواء على العرش فقال : الاستواء حق والايان به واجب والكيفية مجهولة والسؤال عنه بدعة وحسم بذلك باب الجدل وكذلك فعل السلف كلهم . وفي فتح باب الجدل ضرر عظيم على عباد الله تعالى

فهذا مذهبي في دعوة الناس الى الحق واخراجهم من ظلمات الضلال الى نور الحق وذلك بأن دعوة الخواص الى الحكمة بتعليم الميزان حتى اذا تعلم الميزان القسط لم يقدر به على علم واحد بل على علوم كثيرة فان من معه ميزان فانه يعرف به مقادير أعيان لانهاية لها كذلك من معه القسطاس المستقيم فعه الحكمة التي من أوتبها فقد أوتي خيرا كثيرا لا نهاية له ولولا اشتغال القرآن على الموازين لما صح تسمية القرآن نورا لان النور ما يبصر بنفسه ويبصر به غيره وهونعت الميزان ولما صدق قوله «ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين . » فان جميع العلوم غير موجودة في القرآن بالتصريح ولكن موجودة فيه بالقوة لما فيه من الموازين القسط التي بها تفتح أبواب الحكمة التي لا نهاية لها فهذا ادعو الخواص . ودعوت العوام بالموعظة الحسنة بالاحالة على الكتاب والاختصار على ما فيه من الصفات الثابتة لله تعالى . ودعوت أهل الجدل بالمجادلة التي هي أحسن فمن أبى أعرضت عن مخاطبته وكففت شره بيأس السلطان والحديد المنزل مع الميزان

فليت شعري الآن يارفيقي بم يعالج أمامك هؤلاء الاصناف الثلاثة ؟ أي علم العوام فيكلفهم ما لا يفهمون ويخالف رسول الله صلى الله عليه وسلم أو يخرج الجدل من أدمغة المجادلين بالحاجة ولم يقدر على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كثرة محاجة الله تعالى في القرآن مع الكفار ؟ فما أعظم قدرة امامك إذ صار أقدر من الله تعالى ومن رسوله !! أو يدعو أهل البصيرة الى تقليده وهم لا يقبلون قول الرسول صلى الله عليه وسلم بالتقليد ولا يقنعون بقلب العصا ثعبانا بل يقولون هو فعل غريب ولكن من أين يلزم منه صدق فاعله وفي العالم من غرائب السحر



## ٦٨٤ صعوبة معرفة دلالة المعجزة على النبوة ( المزارع ٩م ١٢ )

والطلسمات ماتحير فيه العقول ولا يقوى على تمييز المعجزة عن السحر والطلسم الا من عرف جميعها وجملة أنواعها ليعلم ان المعجز خارج عنها كما عرف سحرة فرعون ومعجزة موسى عليه السلام اذ كانوا من أئمة السحرة ومن الذي يقوي على ذلك ؟ بل أهل البصيرة يريدون مع المعجزة ان يعلموا صدقه من قوله كما يعلم متعلم الحساب من نفس الحساب صدق أستاذه في قوله اني حاسب فهذه هي المعرفة اليقينية التي بها يفتح أولو الالباب وأهل البصائر ولا يقنعون بغير ما البتة وهم اذا عرفوا بمثل هذا المنهاج صدق الرسول صلى الله عليه وسلم وصدق القرآن وفهموا موازين القرآن كما ذكرت لك وأخذوا منه مفاتيح العلوم كلها مع الموازين كما ذكرت في كتاب جواهر القرآن فمن أين يحتاجون الى امامك المعصوم ؟ وما الذي حل من اشكالات الدين ؟ وماذا كشف عن غوامضه ؟ قال الله تعالى « هذا خالق الله فأروني ماذا خالق الذين من دونه » وقد سمعت الآن منهاجي في موازين العلوم فأروني ماذا اقتبسته من غوامض العلوم من امامك الى الآن وماذا الذي يتعلمون منه ؟ وليت شعري ما الذي تعلمت من امامك المعصوم أروني ما رأيته :

مايسدي بي رتسدي أوف خر ابن وقلب يارفوت

فليس الغرض من الدعوة الى المائدة مجرد الدعوة دون الاكل والتناول منها واني اراكم تدعون الناس الى الامام ثم ارى المستجيب لإمامك بعد الاستجابة على جهل الذي كان قبله لم يحل له الامام عقدا بل ربما عقد له حلا ولم تفده استجابته له بل ربما زاد به طغيانا وجهلا

قال : قد طالت صحبتي مع رفقائي ولكن ما تعلمت منهم شيئا الا انهم يقولون عليك بذهب التعليم واياك والرأي والقياس فانه متعارض مختلف قلت : فمن الغرائب ان يدعوا الى التعليم ثم لا يشتغلوا بالتعليم فقل لهم قد دعوتوني الى التعليم فاستجيب فعلموني ما عندكم فقال : ما أراهم يزيدوني على هذا شيئا قلت : فأني قائل أيضا بالتعليم وبالامام وببطلان الرأي والقياس وأنا أزيدك على هذا لو أعطت ترك التقليد تعليم غرائب العلوم وأسرار القرآن فأستخرج لك منه مفاتيح العلوم كلها كما استخرجت منه موازين العلوم كلها على ما أشرت الى كيفية انشعب العلوم كلها منه في كتاب

( المآرج ١٢م٩ ) مقدمة الطبعة الثانية من المآلد الأول للمآر ٦٨٥

آواهر القرآن لكنا لست أأعو الى امام سوى مآمصلى الله عله وسلم ولا الى كتاب  
سوى القرآن فمنه أستخرج آمع أسرار العلوم و برهانا على ذلك لسانى وىانى؛ وعليك  
إن شككت نآرى و امتحانى؛ أقترانى أولى بأن تعلم منى من وقائك أم لا؛ اه المراد منه



## باب المناظرة والمراسلة

### ﴿ النسخ وأخبار الآحاد ﴾

وعدنا في الجزء السابع بأن نين رأينا في المناظرة التي دارت في المنارين الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي والشيخ صالح اليافعي ورجونا أن يكون ذلك في الجزء التاسع ( وكتب « السابع » غلطا وصححناه في الجزء الثامن على أنه غلط بديهي إذ هو في الجزء السابع ) . وقد عرض لنا من كثرة المواد ومن الشواغل ما حال دون تحقيق الرجاء بالتفصيل الذي كنا نريده فأينا ان نقول الآن كلمة مجملّة ونرجي التفصيل المراد الى جزء آخر فتكون كلمتنا هذه كحكم المحكمة بدون ذكر الأسباب التي يسمونها الحثيات وكلمتنا الموعود بها كبيان حثيات الحكم فنقول :

#### النسخ

قد سبق لنا القول بأن النسخ المصطلح عليه الذي هو محل النزاع لم يرد به نص في القرآن ولا في الحديث المرفوع يعلم منه ان آية كذا أو حديث كذا قد نسخ وبطل معناه أو ترك لفظه أو اللفظ والمعنى جميعا وما أورده اليافعي في تفسير « ما تنسخ من آية » ليس نصا ولا ظاهرا فيها بل الظاهر ما قاله الاستاذ الامام وجرى عليه الدكتور صدقي ولكن الاستاذ كان يرى ان الظاهر في قوله تعالى ( ١٦ : ١٠٠ ) وإذا بدلنا آية مكان آية ) في آيات القرآن خلافا لما قاله الدكتور فيها وهي ليست نصا قاطعا في هذا ولا ذاك وقد ورد في كلام الصحابة والتابعين وأئمة الفقه ما يدل على ان للنسخ الاصطلاحي أصلا ولكنه كما قال اليافعي في بعض المواضع انه أعم من النسخ الذي عليه الأصوليون

وان نسخ حكم في الشريعة بحكم آخر هو كنسخ شريعة بشرية أخرى معقول المعنى موافق لحكمة التشريع في انطباقها على مصالح الناس التي تختلف



باختلاف الزمان والاحوال لا شبهة فيه على أصل الدين . وإن أكثر ما قاله العلماء في نسخ احكام القرآن بديهي البطلان وما هو محل نظر منها قد جعله السيوطي عشرين وغيره سبعا والصواب انه لا يوجد في القرآن آيتان لا يتفق معنى إحداها مع معنى الاخرى بحيث يقطع بالتعارض الذي لا يمكن التفصي منه الا بحمل إحداها على النسخ المعروف عند الاصوليين . أما النسخ بالمعنى الذي يتم التخصيص والتقييد و بيان الجمل فهو واقع في القرآن وتقول به

وأما نسخ التلاوة فلم تظهر لنا حكمته ولم يأت الياضي ولا من قبله من العلماء الذين اطلعنا على أقوالهم بحكمة مقنعة لمن كان مستقلا في فهمه غير مقلد فيه لا سيما نسخ اللفظ مع بقاء حكمه

وأما الدليل على وقوع ذلك فهو بعض الروايات عن الصحابة وهي وان صحح مثل البخاري أسانيدها محل إشكال في متنها كأحاديث أخرى في الصحيحين وغيرها منها نص علماء هذا الشأن على عدها مشكلات وعدم الاهتداء الى حل معقول لها إلا الجزم بطلان الرواة فيها كحديث شريك في المعراج عند البخاري وحديث « خلق الله التربة يوم السبت » الذي رفعه مسلم وغيرها . وسنشير الى غير هذين الحديثين مما هو مشكل في الصحيحين قريبا

#### أحاديث الآحاد والدين

ان كل ما جاء به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم من قول أو فعل أو تقرير يتعلق بأمر الدين على انه منه فهو حجة على من ثبت عنده بحجبه عليه الا ذعان لما يدل عليه ، ولا يقال ان شيئا منه خاص بوقت دون وقت أو قوم دون قوم أو شخص دون شخص من المكلفين إلا بدليل يثبت ذلك . فان عارض هذا الحديث بعد ثبوته آية من القرآن أو حديث آخر أو دليل حسي أو عقلي كان الحكم في ذلك لما تقتضيه قواعد التعادل والترجيح والجمع والتأويل وهي معروفة في مواضعها . وقد قال المحدثون إن من علامة كون الحديث موضوعا لمخالفته لنص القرآن والمسائل القطعية في الدين واليقينيات الحسية والعقلية ، هذا إذا كان الجمع بينه وبين القطعي أو التأويل متعذرا

## (المناج ١٢م٩) أحاديث الآحاد تفيد اليقين أم الظن ٦٩٥

ولم يقل احد من سلف الامة وائمة الفقه ان معرفة الدين تتوقف على الاحاطة بجميع ما رواه المحدثون من الاحاديث ولا بأكثرها ولم يكن الائمة الاربعة الذين يقبهم اكثر المسلمين في الاحكام العملية مطلعين على ذلك كله لا سيما الامام ابو حنيفة الذي لم يرحل في طلب الحديث للقاء الرواة المنتشرين في بلاد الاسلام ولم يكن الحديث مدونا في الاسفار فيأخذه منها وهو مع ذلك معترف بامامته واجتهاده عند اتباعه وغيرهم من أهل السنة . فما جرى عليه سلف الأمة وخلفها هو أن من بلغه حديث وثبت عنده وجب عليه العمل به ومن خالف بعض الاحاديث لعدم ثبوتها عنده او لعدم العلم بها فهو معذور فالعمدة في الدين كتاب الله تعالى في المرتبة الأولى والسنن العملية المتفق عليها في المرتبة الثانية ، وما ثبت من السنن وأحاديث الآحاد المختلف فيها رواية أو دلالة في الدرجة الثالثة ، ومن عمل بالمتفق عليه كان مسلما ناجيا في الآخرة مقربا عند الله تعالى كما ترى بيان ذلك في ترجمة الامام الغزالي من هذا الجزء

## احاديث الآحاد تفيد اليقين أم الظن

ذكرت هذه المسألة اكثر من مرة في المناو وقد حققنا في تفسير قوله تعالى « ١٧٣: ٣ » فزادهم ايمانا « ان للظن اطلاقين أحدهما اعتقاد ان هذا الشيء ثابت وأنه يحتمل احتمالا ضيقا ان لا يكون ثابتا وهذا هو الظن الذي جاء في القرآن انه « لا يقني من الحق شيئا » . ثانيهما اعتقاد ان هذا الشيء ثابت مع عدم ملاحظة الطرف المخالف ولكن من غير برهان على منع الطرف المخالف وهذا قد يسمى في اللغة والشرع يقينا وعلمنا ولكنه لا يسمى يقينا عند علماء المنطق والكلام والفلسفة لأنهم يطلقون اليقين على مرتبة اعلا من هذه المرتبة في العلم وهي ثبوت الشيء بالبرهان وثبوت امتناع مقابله . وراجع التفصيل في التفسير ( ص ٨٩٨ م ١١ )

فيعلم مما حققناه ان بعض أخبار الآحاد يفيد العلم واليقين لغة وشرعا وعادة وبعضها لا يفيد ذلك ولكن لا يفيد شيء منها العلم البرهاني واليقين المنطقي . والدكتور توفيق صدقي لا ينكر ان له من الاصحاب من لو أخبره بشيء

## ٦٩٦ الثقة بالأحاديث الصحيحة ومكان روايات الشيخين ( المراجع ٩ م ١٢ )

بصدقه ويطمئن قلبه لخبره فلا يشك ولا يتردد فيه كما انه يصدق المؤذن في دخول وقت الصلاة والفطر في هذه الايام لا يشك فيه ولا يترث في العمل به . فهل هو في هذا عامل بالظن الذي ذمه القرآن ؟ لا لا . وقد صرح الاستاذ الامام في الدرس بأن الصحابة والتابعين كانوا موقنين بصدق الاحاديث التي عملوا بها عند ماسمعوها ممن رفعها الى النبي (ص) وانه لا يعقل ان يحدث مثل الصديق أحدا عن النبي (ص) ويتردد السامع في صدقه

ولا شك في ان كثيرا من الاحاديث المروية في دواوين المحدثين المشهورة تفيد هذا النوع من العلم واليقين ولا يعقل ان يكون كل ما رواه المسلمون عن النبي (ص) غير موثوق به بل لا يعقل ان تكون أكثر روايات التاريخ التي اتفق عليها المؤرخون كاذبة ، فكيف يكون أكثر ما رواه المحدثون واتفقوا على تصحيحه كاذبا وهم أشد تحريبا وضبطا من المؤرخين . واحتمال خطأ بعض الرواة العدول ووقوع ذلك من بعضهم لا ينعكس الثقة بكل ما يروونه . كما ان مجرد تعديل المحدثين لهم لا يقتضي قبول كل ما رواه بغير بحث ولا تمحيص

فالجامعان الصحيحان للبخاري ومسلم هما أصح كتب الحديث متنا وسندا لشدة تحري الشيخين فيها ( رضي الله عنهما وجزاهما خيرا ) ومع هذا لم يتلقهما المحدثون بالقبول تقليدا لهما وثقة مجردة بها بل بحثوا ومحصوا وجرحوا بعض رواتهما وبنوا غلط بعض متونهما . كتفليط مسلم وغيره لرواية شريك عند البخاري في حديث المراج ، وتفليطهم لمسلم في حديث خلق الله التربة يوم السبت ( وتهدم ذكرهما ) وفي حديث صلاة الكسوف ثلاث ركوعات وثلاث سجودات . وفي حديث طلب أبي سفيان بعد إسلامه أن يتزوج النبي (ص) أم حبيبة ويتخذ معاوية كاتباً .

ومن دقق النظر في تاريخ رجال الصحيحين ورواية الشيخين عن المجروحين منهم برى أكثرها في المتابعات التي يراد بها التقوية دون الأصول التي هي العمدة في الاحتجاج . ثم اذا دقق النظر فيما أنكره عليهما مما صححه من الاحاديث يجد ان أقوالهما في الغالب أرجح من أقوال المنازعين لهما لا سيما البخاري فانه أدق المحدثين في التصحيح ولكنه ليس معصوما من الغلط والخطأ في الجرح والتعديل



## (المنار ج ٩ م ١٢) الأحاديث المخالفة للقرآن أو للواقع ٦٩٧

وجهة القول في الصحيحين أن أكثر رواياتهما متفق عليها عند علماء الحديث لا مجال للنزاع في متونها ولا في أسانيدھا والقليل منها يختلف فيه وما من إمام من أئمة الفقه إلا وهو مخالف لكثير منها . فإذا جازرد الرواية التي صح سندھا في صلاة الكسوف لمخالفتها لما جرى عليه العمل ، وجازرد رواية خلق الله التربة يوم السبت الخ لمخالفتها للآيات الناطقة بخلق السموات والأرض في ستة أيام وللروايات الموافقة لذلك فأولى وأظهر أن يجوزرد الروايات التي تتخذ شبهة على القرآن من حيث حفظه وضبطه وعدم ضياع شيء منه ( كالأروايات في نسخ التلاوة ) لا سيما لمن لم يجد لها تخريجا يدفع الشبهة كالـ دكتور محمد توفيق صدقي وأمثاله كثيرون . ومثلها الرواية في سحر بعض اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم ردها الاستاذ الامام ولم يعجبه شيء مما قالوه في تأويلها لأن نفس النبي (ص) أعلى وأقوى من أن يكون لمن دونه تأثير فيها ، ولأنها مؤيدة لقول الكفار ( ٢٥ : ٨ ) وقال الظالمون ان تتبعون إلا رجلا مسحورا ) وهو ما كذبهم الله فيه بقوله بعده ( ٩ ) انظر كيف ضربوا لك الأمثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا ) .

ومثل هذا وذاك ما خالف الواقع المشاهد كرواية السؤال عن الشمس أين تذهب بعد الغروب والجواب عنه بأنها تذهب فتسجد تحت العرش وتستأذن الله تعالى بالطلوع الخ وقد سألتنا عنه بعض أهل العلم من تونس ولما نجب عنه لا نألم نجد جوابا مقنعا للمستقل في الفهم . فالشمس طالعة في كل وقت لا تغيب عن الأرض طرفة عين كما هو معلوم بالمشاهدة علما قطعيا لا شبهة فيه . فإذا قلنا انها يصدق عليها مع ذلك انها ساجدة تحت العرش لأنها خاضعة لمشيئة الله تعالى ولأن كل مخلوق هو تحت عرش الرحمن — ان لم تكن التحتية فيه حسية لان الجهات أمور نسبية لا حقيقة فهي معنوية — إذا قلنا هذا أو انه تمثيل لخضوعها في طلوعها وغروبها وهو أقرب فهل ينطبق على السؤال والجواب انطباقا ظاهرا لا مراء فيه؟ اللهم لا . ولكن هذا النوع من الحديث على ندرته في الصحيح قد يخرج بعضه على انه من باب الرأي في أمور العالم والانباء لا تتوقف صحة دعوتهم ونبوتهم على العلم بأمور المخلوقات على حقيقتها ولم

(المجلد الثاني عشر)

(٨٨)

(المنار ج ٩)

## ٦٩٨ بيان النبي للقرآن وتشريعه باجتهاده ( المأرج ١٢م٩ )

يقول أئمة الدين انهم معصومون فيها كما يدل عليه الحديث الصحيح في تأثير النخل ولكن يستثنى الاخبار عن عالم الغيب فهم معصومون فيه

اما الاحاديث المخالفة للقرآن في خبره او معناه او اي نوع من انواع المخالفة الحقيقية فلا يمكن ان تكون صحيحة في الواقع وان وثق المحدثون رجال اسانيدھا ولكن يجب التدقيق في ذلك قبل الحكم به فما رآه الدكتور محمد توفيق صدقي من أن تحريم الاكل والشرب في اواني القدين مخالف لآية اباحة الزينة والطيات هو في غير محله فان النبي (ص) استنبط ذلك من قوله تعالى في الآية التي قبل آية الزينة (٣٩:٧) كلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ) فلا كل والشرب في

اواني القدين إسراف عظيم لا سيما بالنسبة الى المسلمين في ذلك الزمان وكذلك تحريم الجمع بين المرأة وعمتها او خالتها أخذه صلى الله عليه وسلم من تحريم الجمع بين الاختين لان العلة فيهما واحدة وكما ان تحريم الخمر التي كانت في زمن التنزيل يتضمن تحريم كل مسكر يستحدثه الناس الى يوم القيامة كذلك يتضمن تحريم الجمع بين الاختين تحريم ما في معناه كالجمع بين العمة وبنت أخيها فقوله تعالى ( ٤ : ٢٣ ) واحل لكم ما وراء ذلكم ) لا يتناول الجمع بينهما على هذا فالحديث ليس مخالفا له . ولكن الجمهور بعدونه مخصصا للآية ونخصيص السنة للقرآن جائز وواقع فإن سماه بعضهم نسخا فلا نعارضه في التسمية ونحن موافقون له في المعنى

النبي صلى الله عليه وسلم مبین للقرآن بقوله وفعله ويدخل في البيان التفصيل والتخصيص والتقييد ولكن لا يدخل فيه ابطال حكم من احكامه او قهض خبر من اخباره ولذلك كان التحقيق ان السنة لا تنسخ القرآن . ثم انه (ص) شارع بإذن الله ولذلك قال عند ما سئل عن بعض المسائل « لو قلت نعم لوجبت » ومن ذلك انه حرم ما بين لآتي المدينة فجعلها كحرم مكة لا يحل صيدها ولا يقطع شجرها ولا ولا يمتلئ خلاها والحديث في الصحيحين وغيرهما وليس ناقضا لشي من القرآن ولا مخالفا له . ومما يدل على انه حرم المدينة من قبل نفسه أي بغير وحي خاص ان العباس قال له « إلا الإذخر » فقال « إلا الإذخر » فاستثنى الاذخر من قوله لا يمتلئ خلاها وهو نبات عطر طاجتهم الى قطعه بمجرد طلب العباس . ولكن هذا النوع من التشريع قليل جدا وهو

(المنار ج ١٢م ٩، الانقلاب العثماني . رد ثالث على صاحب جريدة وطن الهندية ٢٩٩٩)

مختلف فيه قيل ان الله أعطاه ذلك وقيل لا وليس هذا القول المجمل مما ينسج لتحقيق ذلك هذا وان للاسلام اصولا ومقاصد لا بد لكل مسلم منها كالتوحيد وادكان الايمان وهي الايمان بالله وملائكته ورسوله وكتبه واليوم الآخر والقدر وهي اعتقادات ، وادكان الاسلام الخمسة ، وهي اعمال بدنية ، وادكان الأدب التي تجمعها كلمة التقوى واجتتاب الفواحش مظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق ، وكل ذلك مبين في القرآن والسنة العملية . فهذا ما يجب على كل مسلم ان يعلمه ويعمل به .

وأما الاحاديث التي لم يجر عليها عمل جماعة المسلمين والسواد الاعظم من أهل الصدر الأول ولا كتبها الراشدون ولا غيرهم من الصحابة ولا دعوا اليها وانما انفرد بها بعض الذين صرفوا همهم إلى جمع الروايات وحفظ الاخبار والآثار فبها تفصيل ملخصه أنه لا يجب على كل مكلف البحث عنها ولكن في معرفتها مز يدعلم ومن عرف شيئاً منها وصح عنده متناوَسدا بلا مراض أقوى منه وجب عليه ان يقبله ويهتدي به نكتفي بهذه المجالة الآن بل هي قد جاءت أطول مما كنا نبغي ومتى سنحت الفرصة نعود الى بعض هذه المسائل بالبيان والتفصيل والى غيرها مما دار عليه كلام المتناظرين ما لم يدرك عليه مما يملق بالمقام ككراهة النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة السؤال لثلاث تكاليف واستلزام ذلك لكراهة ان يعلم جميع الناس بما يجاب به بعض السائلين ويكلفوا العمل به كما كلف السائل ذلك لحاجته اليه ، أو عدم استلزامه .

وما جرى عليه الصحابة في السكوت على ما يعلمون من ذلك حتى يستلوا عنه وانفراد الكثيرين منهم بالحديث الواحد وقلة ما رواه الجهم الفقير . ولا تضرب لذلك موعداً معيناً لئلا نصد عن الوفاء به والله الموفق

## الانقلاب العثماني الميمون

لاهور في ١٩ أغسطس سنة ١٩٠٩ م

حضرة العلامة الحكيم السيد محمد رشيد رضا أدام الله فضلكم ونفعنا بعلومكم آمين  
أما بعد السلام والاحترام ، لا أستطيع ان أنفي بحق شكركم على ما أبدت به



من اللطف في نشر مقالتي والرد عليها ردا مسهبا ، وسأشتر ترجمة ردكم هذا في جريدتي تماما ان شاء الله تعالى

ولا أكتب بعد ذلك في هذا الأمر شيئا بقصد استطلاع الآراء ، بل نترك للدهر يقضي كيف يشاء ، فانه خير قاض ، ولكنني أرى بنفسني ان الذين هم اليوم اعداء لعبد الحميد مثل شوكت باشا والغازي مختار باشا وغيرهم يحسون عاجلا بضرورة رجوعهم إلى عبد الحميد — ان لم تأخذهم الحمية حمية الجاهلية وسلوكوا مسلك الانصاف والساداد —

وأما أمر التعاشي من نشر ردكم الأول فكنت على الصواب فيه لانه صدق ظني حين نشرته جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » ، فاستاء منه العالم الاسلامي الهندي أشد الاستياء حتى اضطر محرر هذه الجريدة لتقديم الاستقالة من خدمته في أواخر شهر يونيو الخالي — وساءت سمعة مجلة المنار أيضا — فرأيت ان أدافع عن المجلة ونشرت ردكم في جريدتي مع جوابي الذي أرسلته اليكم بهذا التهريب كما نشرتموه في العدد السادس من مجلة المنار الأغر — ولقد أثر ذلك الأمر تأثيرا حسنا في تسكين تأثرة نفوس المسلمين الهنديين واطفاء تأثرة غيظهم على « المنار » وليكن في علم حضرتكم ان الجرائد التي وافقت آراءكم من مائة جريدة إسلامية في الهند لا يربو عددها على اثنتين فقط — إحداهما جريدة « علي كده انستي تيوت غازت » والأخرى جريدة « وكيل » ( أمرتسر ) فما الذي جرى للاولى ؟ هوان النواب وقار الملك ناظر الكلية الإسلامية في علي كده طلب من المحرر ان يصلح آراءه ويكتب ردا لأقوال مجلة المنار — ولكنه أبى الرد واستقال من وظيفته — ورد أقواله حضرة النواب المشار اليه في الاعداد التالية من الجريدة واضطر الى التسليم بان عبد الحميد هو « عبد الحميد الأعظم » لا محالة — وقد ندمت جريدة « وكيل » أيضا من سلوكها ذلك المسلك الصعب المخالف للرأي العام لمسلمي الهند واعتذرت عما فرط منها —

وظنكم أن آراء جريدة « وطن » موافقة لقراءتها وهم عدد قليل في الملايين من مسلمي الهند فليس في محال لان شيوع هذه الجريدة في الاقطار الهندية

(المنار ج ٩ م ١٧) جمل مسلمي الهند بأحوال الدولة ٧٠١

واشاعتها أكثر بكثير من جميع الجرائد الإسلامية الهندية ، فان جريدة علي كده  
جميع اشاعتها خمسمائة في الاسبوع ، وجريدة « وكيل » اشاعتها ألف وخمسمائة -  
وقية الجرائد الإسلامية لا تزيد اشاعتها عن الالف البتة - ولكن جريدة « وطن »  
إشاعتها الآن خمسة آلاف وثلاثمائة في كل أسبوع - ولا ريب في ان قراءه  
لا يكونون أقل من خمسين أو ستين ألف رجل من المسلمين - بل ربما يكونون  
مائة ألف أو يزيدون - ولا يخفى على حضرتكم ان جريدة « وطن » تجد  
مشاركين معاونين لها في كل مكان فيه عددٌ ولو قليل من المسلمين الذين  
يعلمون لسان « الأردو » مثل إفريقيا الجنوبية والشرقية - وأمريكا الشمالية  
والجنوبية - وجزائر غرب الهند - والصين ، وأستراليا ، وزنجبار ، وتونس ،  
وطرابلس الغرب ، ونايجيريا ، وملايا ، وسومترا ، وتركستان ، وعرب (؟) ، وبغداد ،  
وغيرها من البلاد النائية الأطراف من العالم الإسلامي فان جريدة « وطن » لتصل  
الى كل هذه البلاد دائما وانكم تعلمون ان وظيفة الجريدة ليست هي هداية قرائها الى  
جادة الصواب فقط بل انها يجب ان تكون مرآة ترى فيها آراء الامة والقراء جميعا  
وتكون مظهرة لآرائهم (؟) - واني أقول بكل الثقة ان آراء جريدة « وطن » في هذه  
المعاملة مطابقة لآراء قرائها وآراء الجمهور من المسلمين ولا عبرة للشواذ -

وأما قولكم بجمل مسلمي الهند بالحقائق في أول الأمر واقتناع منصفهم بعد ما ظهر  
لهم من الحق بواسطة نشر الحقائق في الجرائد التركية والعربية حتى تتمتعون من  
اصراري على ما كنت عليه فالمطلوب من حضرتكم إيمان النظر في مكالمة مراسل  
جريدة « باونير » الانكليزية (اتي تصدر في بلدة إله آباد بالهند) مع محمود شوكت باشا  
وقد أدرجت هذه المقالة بهددها الصادر في ١٣ أغسطس سنة ١٩٠٩ فاعترف  
شوكت باشا بأنه ليس عنده الرجال الا كفاء ذوو سطوة واقدار حتى يقدر على  
حفظ السلطنة من التورط في الهلاك والخراب ،

واننا مسلمي الهند مع وقوفنا على كون المهدي الحميدي محفوقا بالاخطار ومملوءا  
من السيئات ، لا نلقي تبعه هذه المفاسد على عبد الحميد وحده كما تلقون حضرتكم بل

## ٧٠٢ القول بأن لعبد الحميد حسنات وسيئات (المنازع ٩م ١٢)

نسبها الى جهل الملة وخولها ونعلم ان عبد الحميد سعى جهد طاقته في تخفيف ذلك  
الجهل والخول (١١١)

واني لا ادعي الاولية في كتابة ذم عبد الحميد وعماله على جميع جرائد العالم  
بل قصدي انه ان اول من كتب بهذه الصراحة في الجرائد الاسلامية الهندية لا غير  
وهذا صحيح لا ريب فيه وقلم ان الاختلاف في مشروع السكة الحجازية لم يكن  
من جهة السلطان السابق فاني لا اسلمه لان عندي كتباً خصوصية من اصدقائي  
في الاستانة وهم يكتبون ان الجرائد التركية حظرت عليهن الحكومة ذكر مشروع  
سكة بغداد والحجاز وسبب نشر رأيي في جريدة المعلومات العربية هو قلة انتشارها  
في المملكة العثمانية وان لم انس فاذا ذكر ان الذي كتبوا منهم صديقكم وصديقي السيد  
عبد الحميد الزهراوي ايضا

والمؤرخون الذين يناهزون الى احد الطرفين لا يعد قولهم صحيحاً بل العبرة  
بما قاله مؤرخة اولي الدراية في الازمنة التالية وكذلك الذين ليس لهم علاقة باحد من  
الفرقتين المتخاصمتين وانا كما تعلمون ليس لي واسطة بعبد الحميد ، ولا بتركيا الفتاة  
بل كل ما أقصده هو خير الدولة العلية وسلامتها حفظها الله ووقاها من جميع الآفات  
والمهاجمات آمين

وعجبت من احتجاجكم باعتراضي ان الوسائل الاصلية لترقية المملكة العثمانية لم  
توجد في عهد عبد الحميد الخ ، فاقول لكم بكل ادب ان فيلسوفاً مثلكم لا يلزم  
ان يكون ناسياً الفرق بين الترقية وبين حفظ مركز السلطنة وسد الخلل ومقصودي  
هو أن عبد الحميد لا يجب ان تأخذه بجريرة اسلافه وترك ما اصلحه هو ولا نشكره  
عليه فان العقل لا يسلم لاحداث لا يكون فيه حسنة غير السيئات ولذلك لا يخلو  
عبد الحميد ايضا من حسنات ويشهد على حسناته ما كتبت جرائد مصر العربية وجرائد  
اوربا في اكثر الاوقات في اعمدتهن من مدائح واصلاحات عصره بالصراحة التامة  
والتاريخ يحفظ ذكرها

واما مدحت باشا فانه عزل من منصب الصدارة في سنة ١٨٢٢ ونفي ولكن  
القوم لم يكتثروا حالته وبعد ذلك لما عين والياً على عدة ولايات فلم يكن سببه خوف



## ( المارج ١٢م٩ ) الشبهات على كون حكم النبي والراشدين من نوع المطلق ٧٠٣

عبد الحميد منه أو من جماعته بل رأى ذلك السلطان العظيم أن يستفيد من اهلية الرجل وكفاءته في اصلاح شؤون المملكة — وما كان سبب العزل والنفي لمحدث باشا الا قلة مواليه ومشاركيه في حب الدستور (١)

انكرتم علي قولي ان حكم النبي (ص) والصدیق والفاروق (رض) وغيرهم من الخلفاء الراشدين كان مطلقا واوجبتم علي ان استغفر الله من هفوتي هذه فاعوذ بالله واستغفره من كل ذنب واتوب اليه وبعد ذلك اسألکم ان ضمير «هم» في قوله تعالى ( وَشَاوَرَهُمْ فِي الْأُمْرِ ) هل مرجه جميع افراد الملة الاسلامية او بعض سراتها وذوي الرأي منها؟ ان كان المقصود منه ذوي الرأي من سادات القوم ووجهائهم فلم تنسون مجلس شورى الدولة الذي كان موجودا في عهد عبد الحميد الى آخر ايامه واعضاؤه من اهل الخبرة والجاه والسياسة وسراة الامة؟؟ وان كان الضمير راجعا الى كل فرد من افراد الامة فتى حصات الاستشارة لجميعهم وكيف السبيل الى حصولها ايضا؟

هل كان صلح موقع الحديبية في زمن النبي (ص) وقتال أهل الردة والممتنعين من اداء الصدقات وتزحيف جيش أسامة (رض) وعدم مؤاخذه خالد بن الوليد (رض) من اعمال الصدیق (رض) كل هذه الامور بمشورة القوم وغير مناقض لآراء الجمهور من الصحابة (رض)؟ ومتي اظهر المسلمون رضاهم من عزل خالد (رض) حينما عزله الفاروق (رض) لان الجمهور كانوا يحبونه ويفضلون ان يكون هو قائدا عليهم؟— وان كانت هذه الامور بالاستشارة فالمرجو من كرمكم ان افيدوني باعلامها واذكروا لي اسماء الصحابة الذين استشيروا في تلك الامور وعلمت اطلاق عبد الحميد على النوايا السيئة للغازي مختار باشا اليه من نشر تقارير الجواسيس في جرائد الاستانة في هذه الايام . وظهر انه كان عالما بسوء نية الرجل وإنعامه عليه واکرامه كان بسبب لطفه الطبيعي وحسن سياسته في تأليف قلوب النافرين منه بواسطة المال والاكرام (١)

انکم تقولون اني عاشق لعبد الحميد . ولا اعرف الحقيقة التي عرقها الارض والسماء من انه كان السفاك المبيح للدماء وقاتل الابرياء وغيره ، فقولکم هذا لا يستد

## ٧٠٤ ابعاد رجال الاستبداد عن السلطان محمد ( المأرج ٩م ١٢ )

به من غير يئنة . وان الجرائد التركية مع كونهم تجاوزن حد الآداب في ذم عبد الحميد لم تستطعن ان تثبتن شيئاً حقيقياً من التهم الموجهة اليه في أمر افساد الدستور وشركته في الحركة الارتجاعية يوم ١٣ ابريل الماضي . غير الظنون والشكوك فان العاقل لا يعبأ بها . ومن الذي لا يعلم ان جرائد اوروبا لم تكن لتقتصر في اذاعة سيئات عبد الحميد ومظالمه لو وجدن اليه سيلاً . والحمد لله خابت آمالهم من هذا القبيل ولم تستطع جريدة من جرائد أوروبا ان تكتب كلمة واحدة تدل دلالة صريحة على شركة عبد الحميد في الحادثة الارتجاعية ولكنكم تضربون على هذه النغمة عبثاً وتحاولون اقناعي بمثل هذه الخزعبلات (١)

ومصيبي الكبيرة التي جئتها في زعمكم هي قولي الحق في شأن مولانا السلطان محمد خان الخامس ادام الله ملكه وسلطته « انه كآلة صماء في يد جماعة » ودعوتوني الى التوبة من هذه المصيبة ولكن ما تقولون في اشاعات جمعية الاتحاد والترقي واقوال شوكت باشا نفسه بانه لم يترك حول جلالة احداً من انصار عهد التقديم لا من رجال المعية ولا من الخدم والحشم حتى لم يتركوا حوله من خدامه القدماء احداً . وقد قاله شوكت باشا في مكالمته مع مراسل جريدة باونير المذكور سابقاً في هذا المکتوب

وبالجملة فاني أتعجب من شدتكم في أمر عبد الحميد وسببكم له مع كونكم من العلماء الاعلام وحكماء الاسلام . يغفر الله زلتكم هذه ويهديكم سبيل الرشاد لان السب والشتم ليس من شيم الكرام . والسلام  
ولا ابني نشر مكتوبي هذا في المجلة ولا اكلفكم الرد عليه بغير رضاكم لاني علمت من الرديين ما قد كفاني . واني عرضت عليكم بعض ما جال في خاطري عند قراءة ردكم . وخفت ان لو اكتب في جوابه شيئاً فيطول الكلام لذلك اكتفيت ببعض الامور التي يجب اطلاع قرائكم عليه فان رأيتم من المناسب نشره نشرتموه والا فلا .  
فاطلب منكم العفو من تكليفكم مرتين كاتبه المخلص

محمد انشاء الله محرر ومدير جريدة « وطن »

ببلدة لا هور ( بنجاب — الهند )

( المار ج ٩ م ١٢ ) اخلاص محمد انشاء الله للدولة ووطن مسلمي الهند بالمار ٧٠٥

### ﴿ جواب المنار ﴾

ان هذه الرسالة تشر باخلاص صديقنا فيما كتبه أولا وآخرا في مسألة الانقلاب في الدولة لتشره بعض ردنا ووعده بنشر الباقي وهذا هو ظنتنا فيه الذي يتناه في ردنا عليه من قبل خلافا للجرائد التركية والعربية التي جعلته من صنف ( الارتجاعين ) الذين يتبعون الهوى في نصر عبد الحميد حبا في ماله ورتبه واوسسته . وقد اوسسته تلك الجرائد ذماوتو بيخا وتهكما وهي مخطئة في ذلك كما انه هو مخطئ في اجتهاده ، ولذلك لم ننوه بشيء مما كتبوا وان أثبت علينا الجرائد التركية فيه وارسل اليها بعضه من الاستانة معلما عليه بالخبر الازرق . ونقول لأولئك الكتاب ان صاحب جريدة الوطن ربما كان اشدا خلاصا للدولة من اكثر الجرائد العثمانية التي تلعن اليوم الاستبداد وسلطانها ، وتطري الدستور واعوانه ، وسيرون ان شاء الله من محمد انشاء الله خير نصير للدولة الدستورية ، لا سيما بعد الاقتناع القريب بسوء عاقبة السياسة الحميدية ، ثم اننا نجيب مناظرنا عن شبهاته في هذه الرسالة بما يأتي بالاختصار :

(١) ان قراء الجرائد في الهند معذورون في إساءة الظن في المنار لما كتب ما يخالف آراءهم واهواءهم وجرائدهم التي استمدوا منها تلك الآراء والاهواء في السياسة الحميدية . وقد علمت ان اكثر المستائين يظنون اننا كنا نمدح عبد الحميد وسياسته في عهده فلما خلع انقلابنا عليه دامين قادحين ، وظنهم هذا من الإثم ، والحكم علينا بغير علم ، ولذلك نظن ان قراء المنار لم يتهمونا بمثل ما اتهمنا به غيرهم لأنهم يعلمون اننا لم نكن نحسن الظن في السلطان عبد الحميد ببعض الشيء ، ونلتمس له بعض العذر الا في السنة الأولى من سني المنار لأن استبداده لم يكن قد بلغ غايته وقرب عهدنا يومئذ ببلادنا المحجوبة عنها الحقائق ، والمملوءة بالتناق والممدح الكاذب ، وقد كان المنار بعد ذلك يتميز غيظا من سوء تلك الحال ، ويشكو منها بالاساليب المختلفة من الأقوال ، ومن أوضاعها مقالة ( حال المسلمين في العالمين ، ودعوة العلماء الى نصيحة السلاطين ) وما يتبعها من المقالات التي نشرناها في المجلد التاسع ودعونا

( المجلد الثاني عشر )

( ٨٩ )

( المار ج ٩ )



## ٧٠٦ آية اخلاص صاحب المنار ومختار باشا للدولة ( المارچ ٩ م ١٢ )

فبها علماء الاسلام في مصر والهند وتونس الى مطالبة السلطان عبد الحميد بالعدل والإصلاح ، ولولا اننا أنشأنا جمعية سياسية سرية لمجاهدة استبداد عبد الحميد وجعلنا لها جريدة خاصة سمينها باسمها ( الشورى العثمانية ) وكنا نمرز الجريدة بمشورات سرية يوزعها عمال مخصوصون في الاستانة والرومي والاناطول بنفقة من الجمعية لما رضينا بذلك التتديد الاجمالي في المنار . وقد نوهنا بذلك في فاتحة هذه السنة ومن كان في شك من مجاهدتنا لعبد الحميد في عهد استبداده بأشد مما كتبناه في المنار بعد خلمه — وهو نفسه يعلم ذلك ولا يشك فيه — فليطلب منا بعض اعداد جريدة جمعيتنا ليعلم اننا لسنا كأصحاب تلك الجرائد العثمانية التي كانت تسبح اسم عبد الحميد بكرة وأصيلًا راضية أو كازهة ثم صارت تلعنه كذلك . ولو كان المنار كذلك الجرائد وصاحبه كأصحابها لما خربت الحكومة بيت أبيه ، ونكلت بأهله ومحبيه ، ولولا انه مخلص في جهاده الاستبداد الحميدي لما احتمل ذلك العذاب ، والبلاء في الاموال والأفانفس والأوقاف ، ورغب عن المطايا والرتب التي عرضت عليه ليكون من المادحين لعبد الحميد . واننا ننشر في هذا الجزء ما نشرته الحكومة الحميدية في جريدة بيروت الرسمية من اتهامنا واتهام بعض اخوتنا وأصحابنا بالجناية والأمر بالقبض علينا احياء أو ميتين . ونرجو من صديقنا ان يترجمه وينشره مع هذا الرد في جريدته ليقراء من لا يعرف العربية من إخواننا مسلمي الهند

(٢) اننا نعجب لظن صديقنا المناظر لنا بعد ان بينا له الحقائق ان مثل مختار باشا وشوكت باشا سيظهر لهما على عداوتهما لعبد الحميد ضرورة الرجوع اليه ١١ يا لله العجب أبظن صاحبنا أنه أعلم بعبد الحميد مني ومن على رأيها من خيار رجال الدولة حتى يظهر لهم انهم هم المخطئون فيكون هو المصيب في غلوه في إطراء عبد الحميد ١١ أيسمح لي صديقي الفاضل ان أسمى هذا الفن غرورا مينا مع احترامه وحفظ مقامه ١ هل أعيد له القول البديهي انهم يعرفون جميع عجره ويحجروا الخفية والجلية وجميع أعماله السرية والجهرية وصديقنا لا يعرف منها الا بعض الظواهر التي برز أكثرها في غير صورته الحقيقية . وهل تكون حمية مختار باشا على عبد الحميد حمية جهالة وهو أكبر قواد الدولة الذي بذل دمه مرات كثيرة في سبيلها ؟ وتكون حمية

## (الناوچ ١٢م٩) افساد عبد الحميد للملكة . ظهوره بتصفية الرتب العسكرية ٧٠٧

صاحب جريدة الوطن هي الحمية الصادقة التي يثيرها الانصاف ؟ أي حظ لختار باشا من عداوة عبد الحميد ؟ ان مرتبه الآن لا يبلغ عشر مرتبه من عبد الحميد وان ولده كان بمحابة عبد الحميد فريقا من الدرجة الأولى وقد أنزل بعد الدستور الى رتبة أميرالاي ، ومختار باشا راض مسرور من خلع عبد الحميد ، أليس هذا برهانا قاطعا على إخلاصه ؟ فائتنا أيها الصديق ببرهان مثله يثبت انك أشد إخلاصا للدولة وأعلم بمصالحها منه ؟ ما كان ينبغي لك ان تعيد مثل هذه الاقوال التي لا يكاد يعقل صدورها من عالم مخلص مثلك إلا بذلك التأويل الذي حملت عليه كلامك من قبل وهو كون اعتقادك حسن حال عبد الحميد صار وجدانا لا يقبل البحث كدين العجائز ، ومنك يرجى السماح والعفو

( ٣ ) اذا كان قولك ذاك عجبا فاعجب منه استدلالك على كونك مصيبا في اصرارك على رأيك في عبد الحميد وحكومة الدستور بقول شوكت باشا انه ليس عنده من الرجال الا كفاء من يكفي لحفظ السلطنة !! ان هذا اكبر حجة لنا عليك واظهر مبطل لقولك ان عبد الحميد كان يسعى جهد طاقته في تخفيف الجهل والخرول السائدين في السلطنة . لو كان حقا ما تقول لك ان كانت مدة سلطته كافية لتعميم التربية المالية والتعليم النافع وتخرج رجال لا عدا لهم يصلحون للتعرض بجميع أعباء السلطنة . فان تلك قرن كاف لتربية ثلاث طبقات أو أجيال من الامة . ولكن عبد الحميد كان والله مفسدا في المملكة عدوا للعلم والتربية نصيرا للجهل والضلالة . وان من البراهين القاطعة على افساده وتخريبه للدولة وإتيانه إياها من قواعدها وآساسها ما قامت به الحكومة الدستورية من تصفية الرتب العسكرية فقديتين به صدق ما كنا نعلمه بالاجمال ونقوله بالاختصار من ترقية عبد الحميد للضباط والقواد بمحض ارادته محابة لهم لئلا يسخطوا على هدمه لسائر قواعد السلطنة . فالعسكرية التي احدثت الانقلاب وبيدها زمام الأمر هي التي اختارت إنزال الجمل الفقير من قوادها وأمرائها وضباطها عن مراتبهم غيرة على الدولة ومنعا لهذا الخلل الذي يقضي على الدولة اذا هي وقعت في حرب مع دولة قوية منظمة . لقد خلع عبد الحميد والدولة عاجزة عن محاربة الباغار التي هي قطعة منها ولكن حكومة الدستور أمكنها ان تتلافى الامر بسرعة حتي

## ٧٠٨ محاربة عبد الحميد للعلم والكتب (المنار ج ٩ م ١٢)

استعدت للطوارئ في أقل من سنة وإن كان الإصلاح التام لما أفسده عبد الحميد لا ينم إلا بسنين ، وناهيك بإصلاح الأسطول وتعزيزه وقد ظهر للوجود بعد خفائه يا سبحان الله ! البلاد بلادنا والمكاتب والمدارس ومدارسنا ومكاتبنا بنيت بأموالنا وهي تحت مواقع ابصارنا والمعلمون والمتعلمون فيها اخوتنا وأولادنا ، ونحن الذين نقول ان عبد الحميد ابطال كثيرا منها وجعل بعضها تحت مراقبة الجواسيس ومنع منها بإشاراتهم بعض العلوم وبعض الكتب ثم بعض الآلات والمواد التي يتمرن فيها التلاميذ على الأعمال في العلوم الطبيعية ، كما منع أكثر الكتب النافعة في الدين والأدب والتاريخ والتربية وغير ذلك واحرقت حكومته ألوقا كثيرة من هذه الكتب وحملت الناس بضغطها وظلمها على احراق أكثر مما احرقت هي . وبعد هذا كله يقول صاحب جريدة الوطن ان السلطان عبد الحميد كان باذلا جهده في ازالة الجهل واصلاح حال الأمة بالعلم ! . ثم هو يعترف معنا بعد ذلك بأن الأمة العثمانية ليس فيها ( بعد هذا الجهد في تعليمها بزعمه ) أناس قادرين على القيام بأعباء الحكومة ! ! كيف يفهم هذا وبم يفسر ؟ ؟ ؟

يعترف صاحب « وطن » بأنه هو وقومه واقفون على ما كان في العهد الحميدي من السيئات ولكنهم لا يلقون عليه التبعة وحده مثلنا كما يدعي بل يقولون إن سببها جهل الأمة نعم ان جهل الأمة هو الذي مكن مخالفته من مقاتلتها ولذلك كان يكره ان تتعلم وينكل بكل من ينه افكارها والا فليدلونا على ذنب المنار حتي لقي واهله ما لقوا منه ؟ اما عماله واعوانه على الافساد فانهم كانوا على شاكلته

ومن يربط الكلب العقور بياحه فكل بلاء الناس من رابط الكلب ولماذا لا تحرق الكتب الآن ولا يحذف بعض المسائل من نسخها الطابعون كما حذفوا طائفة من كتاب المواقف الذي طبع في عهده بالاستانة ومن كتاب شرح المسيرة في العقائد الذي طبع في مصر فجعلت بعض نسخه كاملة صحيحة وهي ما يباع بمصر وسائر بلاد الدنيا معاد البلاد العثمانية وأما بقية النسخ التي ترسل إلى الاستانة وغيرها من الولايات العثمانية فقد حذف منها بعض المباحث لئلا يجعل وقودا للنار

(٤) تنازل صديقنا من دعوى ترقية عبد الحميد للساحنة أو اجتهاده في ترقيةها



## (المنازع ٩ م ١٢) الفرق بين السب وبين الذم الصحيح للمصلحة ٧٠٩

في بعض كلامه ( وان تناقض مع بعضه الآخر ) وجعل حسنة العليا حفظ مركز السلطنة وسد الخلل وتقول ان هذه الدعوى ممنوعة أيضا فان سد الخلل إنما يكون قبل كل شيء بإصلاح المالية فالدولة التي ليس عندها مال لا تقرر ان تدفع خطرا داخليا ولا خارجيا وهو قد دمر مالية الدولة تدميرا كما هو بديهي لا يقبل المراء . ثم ان الركن الآخر لحفظ المركز هو العسكرية وقد قلنا آنفا انه اشتغل في آخر عهده بإفسادها وإن تصفية الرتب العسكرية أقوى برهان على ذلك . نعم ان كل ما كان يعمل به عبد الحميد في المشكلات الخارجية هو الحيلة والمواربة والتسويق والترضية للدول بعد ذلك والفرض من هذا كله تأخير سقوط الدولة الى ما بعد موته ليبقى طول حياته متمتعا بنعيمها وان كان أكثره وهيبا مشوبا بالمنهات التي لا قبل له بدفعها لأن وسواسه هي مآثرها ومعهدا . ولو طال العهد على تلك السياسة الخرقاء التي لم ينل منها بعض ما يريد الا باختلاف الدول وتنازعها لخربت المملكة قد تداخلت أوربا في ولايات مقدونية وكان ذلك مقدمة لسلخها من الدولة ولولا الدستور الذي أراحنا من سياسته لذهبت تلك الولايات وما ثبتت الاستانة بعدها إلا قليلا . واما مدح الجرائد له فكان بعضه بالثمن وبعضه بسوء الفهم وبعضه بالأكراه (٥) قال انه لم يثبت ان عبد الحميد هو مدير الفتنة الأخيرة التي خلعت بها ، ومع هذا نصفه بسفك الدماء ، وتقول ان هذا وصف قديم له معروف عند الافرنج الذين يسمونه السلطان الأحمر ، وان الحكومة الدستورية قررت عدم محاكمته ولذلك لم تظهر كل ظهر لها من دسائسه في الفتنة وغيرها

(٦) سمى صديقي ماعبت به عبد الحميد في سياسته وإدارته ، وما كتبت من وجه العبرة بخلافه ، سبا وشتما وقال انه ما كان يليق ذلك بمثلي . وهي غفلة من الصديق ، سبها الغلو في حب عبد الحميد ، فان السب عبارة عن ألفاظ بذية توجه الى شخص لأجل تحقيره وإهانته فقط . وما ذكرناه في عبد الحميد لم يكن كذلك وإنما كان بيانا لحقيقة رجل آذى دولة عظيمة وأمة كبيرة وتبنيها لوجه العبرة في سقوطه فهو من قبيل ما في الكتاب والسنة من ذم فرعون وملأه والعبرة بهلاكهم ، ومن قبيل جرح المحدثين لرواة الحديث ، ومن قبيل ما أذن الله به من قول السوء لمن ظلم

## ٧١٠ الشورى في الاسلام ومجلس شورى الدولة ( المخرج ٩ م ١٢ )

بيان ظلم ظالمه وسوء عمله، وعبد الحميد لم يكن ظالماً لي ولا أهلي فقط بل كان ظالماً لنا ولجميع الأمة ما عدا اعوانه على الظلم منها . هذا ما أقوله فيما يتعلق بعبد الحميد وأثبت له حسنة السكة الخجازية وحسنة عدم التعصب لنفسه وكراهته ان يقال ترك وعرب، واما المسائل العامة التي أنكرها علينا صديقنا أو سأل عنها فهذا جوابها بالاجمال الذي يسهل المقام نذكره تابعا بالعدد لما قبله

(٧) من البديهي ان الذين يجب استشارتهم في الامور العامة هم اهل الرأي والمكانة في الامة العارفون بمصالحها والمختبرون رأيهم عند جمهورها المبرهنهم في القرآن باولي الامر لاجميع افراد الامة . ولم يكن مجلس شورى الدولة مؤدياً في عهد عبد الحميد لوظيفة المشاورة الشرعية ولا أعضاؤه من أهل المكانة في الامة ولا من المعروفين عندها وانما يعرفهم من كان يثق به وينهم صلة جوار أو نسب أو عمل . ذلك مجلس قديم العهد في الدولة وقد أفسده عبد الحميد كما أفسد غيره حتى جعله مستودعاً لمن يسترضيهم ممن يخشى اشتغالهم بالسياسة وكان أكثرهم لا عمل لهم ولم يكونوا مرجعاً له في الامور العامة ولا مستشارين على ان يكون رأيهم معمولاً به قطعاً بل كان المجلس ولا يزال ثلاث دوائر احدها للملكية والثانية للتنظيمات والثالثة للمحركات يحاكم فيها كبار الموظفين وكانت الاشارة من اقل رجال المايين او جواسيسه تكفي لإدانة البريء والحكم عليه بأشد العقوبة وعفو السلطان فوق حكم هؤلاء كما انه فوق جميع المحاكم الشرعية والنظامية أهذه هي الشورى المطلوبة في القرآن التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يعمل رأيي رجالها وان خالف رأيه كما فعل في غزوة أحد التي أنزل عليه فيها ( وشاورهم في الامر ) ؟ ؟ ياسبحان الله ألهذا الحد وصلت في الاتصار لعبد الحميد ؟

(٨) ذكر صديقنا عدة شبه على قولنا ان حكومة الاسلام حكومة شورى مقيدة ، لا استبداد مطلقة ، وان خلفاء الراشدين ، لم يكونوا في احكامهم مستبدين ، ونحجب عنها واحدة بعد أخرى :

﴿ الشبهة الأولى ﴾ ان صالح الحديبية لم يفعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم برأي الصحابة بل كانوا له كارهين في أول الامر وانما قبلوه تدبيرا لا اقتناعاً بفائدته كما هو معروف في السيرة مع انه وقع بعد غزوة أحد التي أمر فيها بالاستشارة . والجواب عنه من وجهين

(المنار ج ٩ م ١٢) صلح الحديبية بالوحي . أحكام الصديق كلها مقبدة بالشرع ٧١١

(الوجه الأول) ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعمل بعض الاعمال بأمر من الله تعالى فلا يستشير فيها أحداً إذ لا مجال لرأي أحد مع أمر الله تعالى ويجب ان يكون صلح الحديبية من هذا القيل والالزم مخالفة النبي (ص) لأمر الله تعالى إياه بمشاورتهم وذلك غير جائز ، وقد يدل على ذلك قوله تعالى في الرد على كراهة الصحابة لذلك الصلح « فعمل ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريباً » ونسبة ذلك فتحا مبينا في أول السورة أيضا ، ولم يعاتبه تعالى عليه كما عاتبه على أخذ الفداء من الأسرى بيدر

(الوجه الثاني) قيل ان المشاورة لم تكن واجبة على النبي صلى الله عليه وسلم وان أمره الله بها للندب فهو يفعلها إذا لم يرغبه أرجح منه . ولا أراك تطيب نفسك للقول بأنه (ص) يخالف الأمر الإلهي وان كان للندب كما تطيب نفسك للقول بأنه فعله بوحي إلهي كما تدل عليه سورة الفتح

﴿الشبهة الثانية﴾ بعض اعمال الصديق كقتاله لأهل الردة ومانعي الزكاة ، وانفاذه لجيش أسامة ، وعدم مؤاخذه خالد بن الوليد على قتل مالك بن نويرة والتسري بزوجه . واتنا نجيب عنها كلها جوابا عاما ثم نجيب عن كل منها بالتفصيل اما الاول فهو ان الحكومة المطلقة هي ما كان الامر فيها للحاكم العام في التشريع والتنفيذ والحكومة المقيدة هي ما كان الحاكم العام فيها مقيدا بشريعة ليس هو الواضع لها إمام منزلة وإمام موضوعة برأي الأمة ، وإما بعض احكامها منزل وبعضه موكول الى استنباط أولي الأمر من الأمة يضعونه بالمشاورة بينهم — كالشريعة الاسلامية — والتنفيذ في هذه الحكومة لا يحتاج فيه الى الاستشارة متى كان الحكم معروفا عند الحاكم . وكذلك كانت حكومة الراشدين : كانوا اذا وجدوا الحكم في كتاب الله حكموا به او في السنة كذلك فان لم يجدوا جمعوا أهل الرأي من الصحابة واستشاروهم كما روينا ذلك بالاسانيد المتصلة واوردنا بعض ذلك في المنار من قبل وعلى هذا تجري الحكومات الدستورية الآن في اوربا وغيرها : يحكم الحاكم بالقانون فلا يراجع مجلس النواب في كل قضية وإنما يرجعون اليه في المشكلات وما كان غير منصوص في القانون . وقد كان الحكم الشرعي في المسائل المذكورة معروفا



## ٧١٢ محاربة الصديق لماني الزكاة وانهاده لجيش اسامة ( المارچ ٩م ١٢ )

عند ابي بكر فجاز له ان ينفذها من غير استشارة بل وجب عليه ذلك في اعتقاده  
واما التفصيل فقد تأول في قتال مانعي الزكاة حديث « امرت ان اقاتل الناس  
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم  
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله » فانه جعل من حقها ان مانعي الزكاة الهادمين  
لركن من اركان الاسلام يقاتلون عليه حتى يذعروا له . وان الفقهاء صرحوا بأن الذين  
يمنعون شيئا من شعائر الاسلام ولو مسنونا كالأذان يقاتلون عليه . فهو قد تصدى  
لقتال مانعي الزكاة عملا بحكم مقرر عنده بالنص ولما راجعه عمر في ذلك وذكر الحديث  
قال له « ألم يقل الا بحقها ؟ فالزكاة من حقها » الخ ما قال وهو مشهور فاقنع عمر  
بقوله . وهذه المراجعة تدل على انهم كانوا يعارضون الامام اذا تصدى لشيء لم يظهر  
لهم دليله الشرعي فيه او ظهر لهم مخالفته فيه للنص الشرعي

والناس يظلمون في هذا المقام فيخطئون بين محاربة المرتدين وهو بنو حنيفة  
اتباع مسيلة الكذاب الذي ادعى النبوة وبين مانعي الزكاة وهم غيرهم فمحاربة  
بنو حنيفة كانت باتفاق الصحابة لم يعرض لأحد فيها إشكال ومحاربة مانعي الزكاة  
عرض فيها الاشكال لعمر فاقنعه ابو بكر

الحديث الذي دار الكلام عليه بين الشيخين مروى في الصحيحين وقد اخرجاه  
بزيادة هي نص في فهم ابي بكر الذي رجع إليه عمر اذ قال « فوالله ما هو الا ان رأيت الله  
قد شرح صدر ابي بكر للقتال فعلمت انه الحق » وهذه الزيادة هي « وقيموا الصلاة  
ويؤتوا الزكاة » فالحاصل ان أبا بكر عمل بما علم من حديث الرسول في المسألة وذلك  
بما لا يحتاج فيه الى الاستشارة وقد اقره الصحابة كلهم على ذلك بعد مراجعة عمر واقتناعه  
ولما إنفاذ أبي بكر لجيش اسامة فهو ايضا تنفيذ لأمر النبي صلى الله عليه وسلم وقد  
اشار عليه بعض الصحابة أن يرد الجيش فلم يفعل وقال « لا أحل راية عقدها رسول  
الله صلى الله عليه وسلم » فاحتج بأنه منفذ لأمر الرسول ( ص ) وكانت المصلحة  
فيما فعل . ومما يدل على انه لم يكن يرى ان له الحق في رد الجيش طلبه من أسامة  
ان يأذن لعمر في البقاء في المدينة لينتفع المسلمون برأيه ولم يمسك عمر عنده بما له من  
السلطة العامة لأن سلطته في الامور المنصوصة لا تعدو تنفيذ النص الا ان يظهر له

(المنار ج ٩ م ١٢) خالد . عدم معاقبة الصديق له وعزل عمر له ٧١٣

في اتباع النض ما يناق المصلحة العامة لا مور عرضت تقتضي ذلك فحينئذ يستشير اولي الامر في العمل بما فيه المصلحة كما فعل عمر في الطلاق الثلاث باللفظ الواحد اذ كان على عهد النبي (ص) وابي بكر (رض) بعد طلبة واحدة . فرأى عمر بعد مضي زمن من خلافته ا كثر الناس من هذا الطلاق المخالف للسنة ومقصد الشريعة فاستشار الصحابة في انفاذه عليهم عسى ان يتركوه وأنفذه برضاهم والحديث في الصحيح وتقدم الكلام عليه في التفسير وغير التفسير

وأما عدم موأخذة ابي بكر لخالد بن الوليد اي مقاصته على قتل مالك بن نويرة فهي لا تدل على ان حكومته كانت مطلقة استبدادية اذ ليس في الشريعة نص يوجب القصاص في مثل تلك الحادثة وهي القتل بالتأول في الحرب بل فيها ما يقتضي عدم القصاص فان خالداً نفسه قتل طائفة من بني جذيمة متأولاً فغضب النبي (ص) حتى قال « اللهم اني ابرأ اليك مما صنع خالد » كما في الحديث الصحيح ولكنه لم يقتله ولم يوجب عليه دية . وكذلك قتل اسامة رجلاً قال لا إله إلا الله فأنكر النبي (ص) عليه ذلك وقال « يا اسامة أقتله بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ » قلها ثلاث مرات كما في الصحيحين ولم يقتله به ولا اوجب عليه قوداً ولا دية لانه متأول . وما روي من ان عمر اشار عليه بقتله غاية ما يفيد كما قال ابن تيمية ان المسألة اجتهادية اختلف فيها اجتهاد الشيخين ولم يأت عمر بدليل يوجب على ابي بكر الرجوع الى رأيه . والظاهر ان عدم الدية والهود خاص بما يكون من مثل هذا في ايام الحرب واما من قتل معصوماً في أيام السلم متأولاً فتأوله قد يناق التمسك الذي يقتل به ولكنه لا يمنع ايجاب الدية ولا التعزير بمحبس او غيره . ولمؤرخي الشيعة وغيرهم اقوال غير صحيحة في مسألة قتل خالد لما لك ومنها تسريه بزوجه من غير اعتداد ولا استبراء وليس لهم في ذلك رواية يحتج بمثلها شرعاً على ان فقهاء الامة مختلفون في اعتداد مثلها وليس هذا المقام مما يتسع للخوض في ذلك

(الشبهة الثالثة) عزل الفاروق لخالد من قيادة الجيش في الشام . وتقول إن ذلك حقه وقد بلغه من الاخبار ما أراه ان المصلحة في ذلك . وهذا ما يفعله كل رئيس للعساكر

(المنار ج ٩) (٩٠) (المجلد الثاني عشر)

## ٧١٤ المؤرخ الذي يوثق بروايته . ظلم عبد الحميد ( المئارج ٩ م ١٢ )

اولاد ادارة في الحكومات الدستورية ولا يتبعون في اختيار القواد هوى الجند ورضاه قط بل كثيرا ما تقضي السياسة بابعاد القائد عن الجند الذي يعشقه ويفتن به لئلا تحدته نفسه بالخروج به على الحكومة وتأسيس دولة جديدة . و يروي ما يدل على ان هذا هو السبب في عزل عمر له وهوانه لما سأله خالد عن ذلك قال خفت أن يبدك أهل الشام . ألم يكن السبب في سفك نابليون لدماء الملايين من البشر هو افتتان جنوده به حتي انهم عصوا بحكومتهم عند ما أمرتهم بمحاربته بسدد رجوعه من جزيرة « ألبا » وكانوا عازمين على ذلك فلما اقبل عليهم بوجهه ودعاهم الي قتله خروا امامه خاضعين وله متبعين ؟ ؟

(٩) ومن المسائل العامة التي غلط فيها صديقنا صاحب « وطن » ما ذكره في المؤرخين الذين يمتد بأقوالهم والذين لا يعتد بأقوالهم وتطبيقه ذلك على أقوالنا وأقواله في الانقلاب العثماني . والصواب ان المؤرخ الصادق العدل يعتد بروايته عما رآه واختبره بنفسه ، وأما ما يرويه عن غيره فالعبرة فيه بصحة السند ومتى كان الراوي عدلا قبل قوله ولو فيما يؤيد رأيه ومذهبه كما قبل المحدثون من أهل السنة رواية العدول من المتزلة والخوارج والشيعه . ثم انه ليس ههنا فريقان مختصمان تتمصب نحن لاحدهما على الآخر وإنما يظهر التمصّب من صديقنا لأنه يفضل الحكومة الحميدية الاستبدادية التي سقطت على الحكومة الدستورية التي قامت ويطري عبد الحميد ويندم خلفه وأعوانه فهذا هو التحيز الى فئة . وقد اتهمته ( بني غزته ) وغيرها من الجرائد التركية بأنه كان يرجو من عبد الحميد فوق ما ناله من وسام أو نوط وأنه وجد منه كتابة الى المايين يطلب فيها ان يدعى الى احتفال سكة حديد الحجاز ويعطى نفقة سفره الى الحجاز ، وهي مطالب في المال والجاه

أما نحن فأتنا رأينا ظلم عبد الحميد في أنفسنا وبلادنا وأمتنا ودولتنا: رأينا المالية منهوبة ، والأرض مظلومة ، والأموال مفضوذة ، والمعارف مفضوذة ، والكتب ممنوعة ، والقضاء آلة سياسية ، والإدارة مدبرة الاستبداد ، والعسكرية قد سرى اليها الوهن والفساد ، والأجانب ينتقصون الأرض من اطرافها ، ويسري نفوذهم فيها ، فجاهدنا على قدر هجرتنا وضعفنا ، وجاهد غيرنا من الاحرار كل على قدره ، حتى اذا اذن الله بسقوط تلك



## (النازح ٩ م ١٢) السلطان محمد وحاشيته الأحرار ٧١٥

الحكومة الحميدية الفسدة ، حمدناه وأظهرنا سرورنا بنصره ، وشكرنا العاملين على الانقلاب مع شكره ، عملاً بحديث « لا يشكر الله من لا يشكر الناس » ولكنا لم نقدر الحكومة الجديدة ولم تمصب لها في عمل من الأعمال بل نرشدنا وننتقدنا على خطاياها ومنه ما يرى خبره في هذا الجزء عن قن الشام ، وعلى تقصيرها ومنه أنها لم تعد لنا شيئاً من حقوقنا التي سلبها الاستبداد منا ، فلا نقول إننا بلغنا بها أعلى عليين ، وإنما نقول إنها محل الرجاء وكنا مما قبلها يائسين . فهل من العدل أن يقول صديقنا أن كلامنا لا يعتد به لا نأمتحزون متعصبون ، وإن كلامه هو الذي يعتد به لأنه يشهد لنفسه أنه أوسع علماً وأشد إخلاصاً ؟ قلت من قبل أنني أحسن الظن فيه وأقول الآن أن ظني فيه لم يتغير وإن أصر على مدح عبد الحميد بعد البيان ، كما يحكم عليه الوجدان ، ولا أعد ما ذكرته الجرائد التركية قادحاً في إخلاصه ، ولكنني أوقن بأنه لا يعرف من حال الحكومة الحميدية عشر معشار ما أعرف أنا وأمثالي إذ ليس عنده إلا سميات قليلة يصدق بعضها ويكذب بعضها بحسب فكره ووجدانه ، وأما معلوماتنا فتدخل من أبواب اليقنيات الستة وهي كثيرة جداً . وإذا كانت الغيرة على الدولة والإخلاص لها تعذر الموازنة بينهما في أنفسهما فدلائلهما فينا أقوى من دلائلهما عنده لأننا تحملنا الأذى والبلاء في أنفسنا وأهلينا وأموالنا وآثرنا ذلك على الأموال والرتب والأوسمة ، فهل عنده شيء من مثل هذه الدلائل على حب الدولة والإخلاص لها وهما مما لا نكرهما عليه ؟

(٩) احتج مناظرنا على كلمته الشنيعة في مولانا وخليفتنا السلطان محمد الخامس أيده الله بروح منه بقول جمعية الاتحاد وشوكت باشا أنه لم يترك حوله أحد من أنصار العهد القديم لا من رجال المعية ولا من الخدم والحشم !!!

أنني على كثرة ما أنكرت على صاحبي من أقواله وآرائه وحججه في موضوع مناظرتنا لم أر أغرب من قوله هذا وما كان يخطر في بالي أن يقوله مثله وهو من أهل العلم والسياسة . إن مولانا السلطان محمد لم تكن له حاشية عظيمة من أهل السياسة الذين يعتمد عليهم فيقال إن إبعاد شوكت باشا أو غيره إياهم عنه واستبدال غيرهم بهم جعله غير قادر على التصرف حتى يصح أن يقال إنه تلك الكلمة المنكرة ، وإنما كان حوله جواسيس نعد الحميد أسوأ من أهل السياسة ، بل من أهل الفساد والسماية ، ولم يكن يثق بأحد

## ٧١٦ طلب الحكومة الحميدية معاقبتنا على جناية المنار ( المخرج ٩ م ١٢ )

منهم ، وهو الآن يرى جميع الوكلاء وأركان الدولة ومن شاء من غيرهم ويكشفهم بما يريد وكذلك كان جميع السلاطين قبل عبد الحميد لا عمل لهم الا بواسطة حكومتهم ولم تكن حاشيتهم إلا حاشية خدمة ولكن عبد الحميد اسس حكومة المايين ليحارب بها الدولة والامة وقد فعل وظفر زمنائهم كان عاقبة امره خسرا

\*\*\*

## ﴿ قيل للرد يدخل في باب الاخبار والاراء ﴾

فما نشر في عدد ٨٦٦ من جريدة بيروت الرسمية التي صدرت في ٢٨ المحرم سنة ١٣٢٤ بالتركية والعربية في اتهامنا بالجناية وجلبنا بالقوة احياء أو ميتين لمحكمة الجزاء بطرابلس كما هو معنى « اخذ وكرفت » وهو

## ( طرابلس شام بدايت محكمه سي جزا )

« دائره سندن »

مصره فرار والمنار هذيانامه سنده نشرات خائثانه وملعكتكارانه يه اجتسار ايتكم ماده سندنطولاني مظنون وفرارده بولنان طرابلس شام سنجاغنه تابع قلمون قريه سي اهاليسندن وهذيانامه مذ كوره صاحب ومحررى محمد رشيد رضا ايله هذيانامه مذ كوره يه دخالت ونشرات ملعكتكارانه يه اشتراك ايلد كزى ادعاسيله مظنون ومرقوم رشيدك برادري اولوب موقوف بولنان ابراهيم ادهم وينه مصره فرار وأرباب فسادہ التحاق ايدن ديكر برادرلى أحمد حمدى وحسين وصفى اياه طرابلس شاملى عبد القادر مفرينك حركات خائثانه وملعكتكارانه لرنندن طولاني اصول محاكمات جزائيه نك مواد مخصوصه سي احكامنه توفيقا طرابلس شام جنائمت محكمه سنده محاكمه لرى اجرا قلمق اوزره جزا قانونامه هما يونك اللى سكرنجى ماده سي موجبنجه بيروت ولايتى هيئت اتهاميه سنجه جنائتله اتهامرينه قرار ويرلديكندن متهموت مرقومونك هر نره ده كوريلودار ايسه طوتيب سندنك مذ كوره توقيفخانه سنه تسليملى لازم كله جكى بالجله ضابطه عدليه مهور اريكات معلومى اولقى اوزره اشواخذ وكرفت مذ كره سنك خلاصه سي بيروت رس غزته سنه درج واعلان اولتمق اوزره تنظيم اولاندى .

## ( من دائرة جزاء محكمة البداية )

« في طرابلس الشام »

بما ان محمد رشيد رضا من أهالي قرية القلمون التابعة للواء طرابلس الشام الفار إلى مصر وصاحب ومحرر جريدة المنار الهدانية والمظنون عليه بالتجاسر على نشر مواد الخيانة والمهينة في الورقة المذكورة وكلا من أخيه إبراهيم أدم الموقوف والمظنون عليه باشتراكه في تلك التشریات اللعينة وأخويه أحمد حمدي وحسين وصفي وعبد القادر المغربي من أهالي طرابلس الشام الفارين إلى مصر أيضا والمتحقيقين بأرباب الفساد قد اتهمتهم الهيئة الاتهامية في ولاية بيروت بالجناية توفيقا للمادة ٥٨ من قانون الجزاء الهايوني ليحاكوا في محكمة الجناية في طرابلس الشام توفيقاً لأحكام المواد الخصوصة من أصول المحاكمات الجزائية وذلك بالنظر لحركاتهم الجنائية اللعينة فعلى جميع مأموري ضابطة العدلية ان يلقوا القبض عليهم أينما وجدوا ويسلموهم لحل توقيف المحكمة المذكورة ولأجل ان يكون ذلك معلوماً عند المأمورين المذكورين جرى تنظيم هذه المذكرة ( اخذ وكرفت ) لتنشر خلاصتها في جريدة بيروت الرسمية .

## ﴿ الطيب محمد إسماعيل الأجميري الهندي ﴾

زارنا في أوائل هذا الشهر المبارك هذا الطيب فعلمنا منه انه جاء من القدس الشريف وانه جاء في العام الماضي مع أهله الحجاز فادوا النريضة وأقاموا في مكة المكرمة ثم في المدينة المنورة عدة أشهر ثم سافروا إلى القدس فأقاموا فيها مدة ثم عادوا منها في أواخر الشهر الماضي محرمين بالعمرة وسيمودون بعدها إلى بمبي وهي موطنهم وبلد اقامتهم . وقد كان هذا الطيب يعالج جميع المرضى في البلاد المقدسة بغير أجره ابتغاء مرضاة الله تعالى وقد كتبوا له شهادات في الحرمين ختمها الجم الغفير من العلماء والشرفاء وغيرهم وصدقت عليها الحكومة لاسيما في المدينة المنورة فنسأل الله تعالى ان يجزيه خير الجزاء ويحمله قدوة صالحة للأطباء

وقد علمنا منه انه ماجاء القاهرة إلا لاجل زيارتنا فنشكره ذلك وقد سألناه عن افكار مسلمي الهند في الانقلاب العثماني وهل يصح ما قيل ان اكثرهم يسيئون الثان بالدولة الآن لحسن ظنهم في السلطان عبد الحميد الخلوع . فقال ان في الهند كذا مليوناً من المسلمين اكثرهم لا يعرف السياسة ولا يهمهم من امرها شيء قط ولكن الذين يقرؤن الجرائد وقليل ما هم يتبعون رأي جرائدهم في ذلك



## ﴿ كتاب التوسل والوسيلة ﴾

طبعنا الآن في هذه الايام كتابا خاصا في مسألة التوسل والوسيلة لشيخ الاسلام وهو الذي قلنا نمودجا منه في الجزء الثامن ونبذة وحيزة منه في تفسير الجزء السابع ، طبعنا اكثره على نفقة السيد محمد حسين نصيف وكيل امانة مكة في جده وطائفة منه على نفقتنا ، ليكون سلاحا في أيدي أنصار السنة ، يفرون به ضلالة أهل البدعة ، وانا ندعو أولياء البدعة المنكرين على شيخ الاسلام ( كالشيخ النبهاني ) الى قراءته والرد عليه ان استطاعوا وندعو جمهور الامة الذين يحبون السنة ولكن يخفيها عن بعضهم الجاهلون ، ويكرهون البدعة ولكن يزيناها لأعينهم المبتدعون ، أن يقرأوا هذا الكتاب ويوازنوا بينه وبين ما اطلعوا عليه من كتب المبتدعين ثم ليتبعوا ما يرونه موافقا لكتاب ربهم عز وجل ، وسنة نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم ، وسيرة سلفهم الصالحين ، وأئمتهم المجتهدين ، بين شيخ الاسلام في كتابه هذا معنى الوسيلة في القرآن ومعنى التوسل في لغة الصحابة وعرفهم ومضاه في عرف المتأخرين الذين ادخلوا فيه معنى البدعة ، وما هو مشروع منه وما هو مبتدع ، وما هو نافع وما هو ضار ، وحقق مسألة السؤال ومسألة الدعاء وما يشرع منهما وما لا يشرع مع الدلائل من الكتاب والسنة وأقوال السلف وحكمة التشريع - وبين ما يشرع في زيارة القبور وما يمنع ، ومسألة الكرامات وشرطها والخوارق التي ينخدع بها الناس فيطعنونها كرامة وما هي كرامة . وتكلم عن الاحاديث الواردة في زيارة قبر المصطفى عليه الصلاة والسلام وفي النهي عن اتخاذه وثنا وعن اتخاذه عبدا وعن اتخاذ المساجد على القبور وحقق مسألة رواية الحديث الضعيف والعمل به في الفضائل والمناقب وتكلم عن الشفاعة والاستشفاع والاستغاثة والاستعانة بغير الله وبين ما يصح من ذلك وما لا يصح ،

ولما كن حديث الاعمى الذي استشفع بالنبي (ص) فشفع له ودعا الله ان يرد عليه بصره فاستجاب دعاءه هو الحديث الوحيد الذي صح سنده في هذا الباب تكلم عنه في عدة ورقات فجمع طرقه وبين جميع رواياته وما صح منها وما لم يصح وحقق ان الصحيح لا يدل الا على ما هو ثابت مشروع من التوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله

عليه وسلم في حياته بطلب الدعاء منه وبين في هذا المقام وفي مواضع أخرى أن ما كان يطلب من النبي (ص) في حياته لا يطلب منه بعد موته وإن كان حيا عند الله تعالى في عالم الغيب كما أنه لا يطلب منه غير ذلك مما كان يطلب منه في حال حياته كالإستسقاء والعلم واستدل على ذلك بعدم طلب الصحابة ذلك عند قبره أو مع البعد عنه وبعدهم عن التوسل به في الإستسقاء إلى التوسل بالعباس وغيره وذكروا مسألة الإستسقاء في عدة مواضع واجتهاد الصحابة وما انفرد به بعضهم وخالف الجمهور وكونه خطأ لا يؤخذ به

وتكلم عن مسائل الشياطين واضلالها للناس وتمثلها لهم وخدمتها لهم واشتباه ذلك بالكرامات وكذا عن الاستغاثة والتعوذ بهم والرقية والعزائم باسمهم وعن وسوستهم وإغوائهم وسلطانهم على غير المؤمنين

وان القارئ ليجد في هذا الكتاب من دقائق التفسير ومعاني الأحاديث وأسرار التشريع ما لا يجده في غير كلام المؤلف من العلماء ويجزم بأن ما انفرد به من البيان والتحقيق فيها هو الحق

مثال ذلك كلامه في الدعاء والسؤال والحنف وكيفية الفرق بينها وحكمها وحكمة ما يجوز منها وما لا يجوز ومن ذلك معنى كون الدعاء عبادة فلا يدعى غير الله ، والسؤال بالخلق وسؤاله والسؤال بما هو سبب للإجابة كالرحم والعمل الذي يقتضي الإجابة والسؤال بما ليس كذلك كالأموال الأجنبية التي ليست أسبابا وكذلك كالدنات والأشخاص التي لا تدخل لها في السببية وسؤال الله بحق بعض خلقه وهل لأحد حق عليه أم لا ، وبجاه الأنبياء وهل الجاه الذي منحه الله لبعضهم يكون سببا لإجابة غيرهم إذا ذكره أم لا ، والفرق بين حلفنا وإقسامنا بالخلقوات وبين إقسامه تعالى بها في القرآن وذكر أنواع هذه الأقسام وحكمها الخ الخ

وفي الكتاب تكرار لبعض المسائل يذكر المسألة ثم يبيدها بالمناسبة والمصنف يعتمد لذلك لعله أن هذه المسائل التي أخطأ فيها كثير من الناس حتى أدى ببعضهم إلى الشرك الأصغر أو الأكبر لا تنجلي وتستقر في الأذهان إلا بذلك

صفحات الكتاب مثنان وثمنا سبعة قروش صحيحة وأجرة البر يدقش صحيح

## ﴿ قن رمضان ، في دمشق الشام ﴾

يقول أحد الدمشقيين العارفين ان لاهل دمشق في كل رمضان فتنة يلهون بها فإذا أوشك الشهر ان ينتضي بغير فتنة حاص بحو الفتن ثم يسمون في اثاره فتنة صغيرة أو كبيرة بقدر الامكان ونقول ان كبري فتنتهم الرضائية ثلاث متشابهة في ثلاث : في تدبير اكابر الحشوية المستبدين لها ، وفي جعل مبدأها الانتقام من بعض الاحرار طلاب الاصلاح ، وفي كون الغاية منها التنكيل بجماعة معروفة ذنبها عند اولئك الاكابر انها تكره الاستبداد وأهله ، وتحب الاصلاح وتعمل له ( الفتنة الاولى ) هي التي آثاروها على السيد عبد الحميد افندي الزهراوي من بضم سين لانه ألف رسالته المشهورة ( الفقه والتصوف ) وكانوا يريدون قتله وقتل من أشرنا اليهم من محبي الاصلاح ولكن الحكومة الحميدية سبقت رعيته المخلصة الى الانتقام منه وامره مشهور ( الفتنة الثانية ) هي التي آثاروها على كاتب هذه السطور في أواخر رمضان السنة الماضية وهي مشهورة ، وقد ضعفت الحكومة الدستورية عن مداركتها بما يربي مثيري الفتنة ، ولذلك نشروا بعدها جمعية « ولقان » التي قامت على الدستور ولو نجحت تلك الجمعية في الاستانة لكانت دمشق استانة ثانية لها بتدبير اكابر المجرمين في الباطن وأصاغرهم في الظاهر كالشيخ صالح المغربي والشيخ عبد القادر الخطيب اللذين كانا يقولان اقتلوا هؤلاء الدستوريين أو الوهابية فانهم ٥٠ رجلا ( الفتنة الثالثة ) ما آثاروه في هذا العام على محمد افندي كرد علي صاحب جريدة المقتبس أولا ثم على سائر أعدائهم الذين أشرنا اليهم ، وقد علمنا انهم ألفوا جمعية للانتقام من الاحرار والمصلحين وانهم بدأوا بصاحب المقتبس لانه شدد النكير في جريدته على أعداء الدستور ومثيري فتنة رمضان الماضي فاتهموه أولا بمشايعة جمعية « ولقان » على الدستور ففتشت الحكومة مطبعته وادارته ولم يثبت عليه في التحقيق شيء فعلموا ان هذه التهمة لا تسمع في مثله فاتهموه وسائر الاحرار ومحبي الاصلاح الذين كانوا يضطهدونهم في زمن الاستبداد بالسمي الى « الخلافة المرية » وهي الكلمة التي كانوا هم واضرابهم ينتقمون بها ممن شأوا في العصر الحميدي أما كرد علي فرجل كان وما زال يكره الاستبداد وقد أصابه شره ففر الى مصر وكان فيها بعيداً عن السياسة وأهلها وقد دعوا له أكثر من مرة للدخول في جمعية البشوري العثمانية فأبى وهو لا يخلو من غرارة وسذاجة فلما هو والله بأهل للسياسة ولذلك يسقط من قلعه وينشر لفسيره ما يمكن ان يمدد العدو شبهة على سوء قصده وما هو بالسيء القصد ، ومن ذلك انه كتب عن بلاغ شيخ الاسلام عبارة فهمها من بعض الناس تشع بأن الدولة العثمانية ليست دولة خلافة فأخطأ بذلك واعترف بخطأه في اليوم الثاني واسكن الحكومة بادرت الى الحكم عليه بالجناية وبإبطال جريدته ومطبعته فجزأ ذلك مثيري الفتنة في كل زمن على سائر الاحرار فوشوا بهم واتهموهم المتهمون الآن بالخلافة المرية الوهمية هم أخلص المخلصين للدولة والملة في الشام فمنهم أفضل العلماء كاليطار والقاسمي وأشهر الاحرار كمحمد الرحمن بيك اليوسف وكرد علي ومنهم جمعية النهضة السورية وهم احداث لا يعرفون السياسة. فإذا كانت حكومة الدستور تهين أمثال هؤلاء باغراء الرجعيين مثيري الفتنة أفلا تكون الحكومة الحميدية خيراً منها وأعدل اذ كانت تعلم انهم أعداؤها ولم ينلهم منها الا المراقبة وتفتيش السكتب؟ اعقلوا أيها الحكماء وتبصروا وأقيموا الدستور بالقسط والا كانت العاقبة خطراً على الدولة والامة وقد قال الرسول ( ص ) « اذا ابتغي الامير الريية في الناس أفسدهم » رواه أبو داود



(المجلد الثاني عشر)

٧٢١

(الجزء العاشر)

بؤني الحكمة من يشاء من يؤت الحكمة فقد أوتي  
غيا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب

المعراج  
١٣١٥

فيشر هادي الدين يستمعون القول فينبون أحسنه  
أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام سوى و « منارا » كنفار الطريق

(مصر - الجمعة سلخ شوال ١٣٢٧ - ١٢ نوفمبر (تشرين الآخر) ١٩٠٩م)

## الصوفية والفقراء \*

﴿ فتوى لشيخ الاسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ﴾

مسئلة عن الصوفية وأنهم أقسام والفقراء أقسام فما صفة كل قسم وما يجب عليه ويستحب له ان يسلكه ؟

الجواب : الحمد لله أما لفظ الصوفية فانه لم يكن مشهوراً في القرون الثلاثة وإنما اشتهر التكلم به بعد ذلك وقد قل التكلم به عن غير واحد من الائمة والشيوخ كالامام احمد بن حنبل وأبي سليمان الداراني وغيرهما وقد روى عن سفيان الثوري انه تكلم به وبعضهم يذكرون ذلك عن الحسن البصري وتنازعوا في المعنى الذي أضيف اليه الصوفي فانه من اسماء النسب كالقرشي والمذني وأمثال ذلك قليل انه نسبة الى أهل الصفة وهو غلط لانه لو كان كذلك لقل صُفِيَّ وقيل نسبة الى الصف المقدم بين يدي الله وهو أيضا غلط فانه لو كان كذلك لقل صَفِيَّ وقيل نسبة الى الصفوة من خلق الله وهو غلط لانه لو كان كذلك لقل صفوي وقيل نسبة الى صوفه بن بشر بن أد بن طابخة قبيلة من العرب كانوا يجاورون بمكة من الزمن القديم ينسب اليهم النسك وهذا وان كان موافقا للنسب من جهة اللفظ فانه ضعيف أيضا لان هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر الناس ولانه لو نسب النسك الى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين وتابعيهم أولى ولأن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى ان يكون مضافا الى قبيلة في الجاهلية لاجود لها في الاسلام وقل وهو المعروف انه نسبة الى لبس الصوف فانه أول ما ظهرت الصوفية من البصرة وأول من بين دويرة الصوفية بعض أصحاب عبد الواحد بن زيد وعبد الواحد من أصحاب الحسن وكان في البصرة من المبالغة في الزهد والعبادة

﴿ المناور : ننشر هذه الفتوى ليعلم الذين يقلدون ابن حجر وغيره في قولهم ان ابن تيمية كان ينكر على الصوفية حق هذا القول من باطله ومنها يعلمون ان الرجل يزن كل شيء بميزان الشرع وسيرة السلف الصالح

## (المنار ١٠م ١٢) حال الصحابة وحال الصوفية عند سماع القرآن ٧٤٧

والخوف ونحو ذلك ما لم يكن في سائر أهل الأمصار ولهذا كان يقال فقه كوفي وعبادة بصرية وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني بإسناده عن محمد بن سيرين أنه بلغه أن قوما يفضلون لباس الصوف فقال إن قوما يتخبرون الصوف يقولون إنهم مثبتهون بالمسيح بن مريم وهدى بنينا أحب إلينا وكان النبي صلى الله عليه وسلم يلبس القطن وغيره أو كلاماً نحوه من هذا ولهذا غالب ما يحكي من المبالغة في هذا الباب إنما هو عن عبادة أهل البصرة مثل حكاية من مات أو غشي عليه في سماع القرآن ونحوه كقصة زرار بن أد في قاضي البصرة فإنه قرأ في صلاة الفجر «فاذا قرأ في الناقور» فخرميتا وكقصة أبي جهمر الأعمى الذي قرأ عليه صالح المري فمات وكذلك غيره ممن روي أنهم ماتوا باستماع قرائته وكان فيهم طوائف يصمقون عند سماع القرآن ولم يكن في الصحابة من هذا حاله فلما ظهر ذلك أنكر ذلك طائفة من الصحابة والتابعين كأسماء بنت أبي بكر وعبد الله بن الزبير ومحمد بن سيرين ونحوهم والمنكرون لهم مأخذ من منهم من ظن ذلك تكلفاً وتصنعاً: يذكر عن محمد بن سيرين أنه قال ما يذنبوا بين هؤلاء الذين يصمقون عند سماع القرآن أن يقرأ على أحدهم وهو على حائط فإن خرف فهو صادق ومنهم من أنكر ذلك لأنه رآه بدعة مخالفاً لما عرف من هدي الصحابة كما قل عن أسماء وابنها عبد الله والذي عليه جمهور العلماء أن الواحد من هؤلاء إذا كان مغلوباً عليه لم ينكر عليه وإن كان حاله ثابتاً أكمل منه ولهذا لما سئل الإمام أحمد عن هذا فقال قرئ القرآن على يحيى بن سعيد القطان فغشي عليه ولو قدر أحد أن يدفع هذا عن نفسه لدفعه يحيى بن سعيد فما رأيت أعقل منه ونحو هذا وقد نقل عن الشافعي أنه أصابه ذلك وعلى بن الفضل بن عياض قصته مشهورة وبالجملة فهذا كثير ممن لا يستراب في صدقه لكن الأحوال التي كانت في الصحابة هي المذكورة في القرآن وهي وجلت القلوب ودموع العين واقتشعرا جلود كما قال تعالى «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون» وقال تعالى «الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشع منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تآين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله» وقال تعالى «إذا تلى عليهم آيات الرحمن خرزوا سجداً وبُكياً» وقال «وإذا سمعوا ما نزل إلى الرسول ترى أعينهم



## ٧٤٨ مراتب الناس في السماع ثلاث ( المار ج ١٠ م ١٢ )

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق » وقال « ويخرون للاذقان يكون ويزيدهم خشوعا » وقد يذم حال هؤلاء من فيه من قسوة القلوب والرّين عليها والجفاء عن الدين ما هو مذموم وقد فعلوا، ومنهم من يظن أن حاله هذا أكمل الأحوال وأتمها وأعلاها وكلا طرفي هذه الأمور ذميم

بل المراتب ثلاث أحداها حال الظالم لنفسه الذي هو قاسي القلب لا يلين للسمع والذكر وهوؤلاء فيهم شبه من اليهود قال الله تعالى « ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون » وقال تعالى « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »

والثانية حال المؤمن التقي الذي فيه ضعف عن حمل ما يرد على قلبه فذا الذي يصعق صعق موت أو صعق غشي فإن ذلك إنما يكون لقوة الوارد وضعف القلب عن حمله وقد يوجد مثل هذا فيمن يفرح أو يخاف أو يحزن أو يحب أمورا دنيوية يقتله ذلك أو يمرضه أو يذهب بعقله . ومن عباد الصور من أمرضه المشق أو قتله أو جننه وكذلك في غيره ولا يكون هذا إلا لمن ورد عليه أمر ضعف نفسه عن دفعه بمنزلة ما يرد على البدن من الأسباب التي تمرضه أو تقتله أو كان أحدهم مغلوبا على ذلك فإذا كان لم يصدر منه تفریط ولا عدوان لم يكن فيه ذنب فيما أصابه فلا وجه للرية كما سمع القرآن السماع الشرعي ولم يفرط بترك ما يوجب له ذلك وكذلك ما يرد على القلوب مما يسمونه السكر والنشأ ونحو ذلك من الأمور التي تغيب العقل بغير اختيار صاحبها فإنه إذا لم يكن السبب محظورا لم يكن السكران مذموما بل معذورا فإن السكران بالتمييز وكذلك قد يحصل ذلك بتناول السكر من الخمر والحشيشة فإنه يحرم بلا نزاع بين المسلمين ومن استحل السكر من هذه الأمور فهو كافر وقد يحصل بسبب محبة الصور وعشقها كما قيل :

سكران سكر هوى وسكر مدامة ومتى إفاقة من به سكرات

(الناو ج ١٠م ١٢) السكر عند الصوفية وحكم زوال العقل بسبب مباح او محرم ٧٤٩

وهذا مذموم لان سببه محذور وقد يحصل بسبب سماع الاصوات المطربة التي تورث مثل هذا السكر وهذا أيضا مذموم فانه ليس للرجل ان يسمع من الاصوات التي لم يؤثر بسماعها ما يزيل عقله اذ ازالة العقل محرم ومتى أففى اليه سبب غير شرعي كان محرم ما وما يحصل في ضمن ذلك من لذة قلبية أو روحية ولو بأمر فيها نوع من الايمان فهي مغمورة بما يحصل معها من زوال العقل ولم يأذن لنا الله ان نمنع قلوبنا ولا أرواحنا من لذات الايمان ولا غيرها مما يوجب زوال عقولنا بخلاف من زال عقله بسبب مشروع أو بأمر صادفه لا حياة له في دفعه وقد يحصل السكر بسبب لافعل للعبد فيه كسماع لم يقصده بهيج قاطنه ويحرك ساكنه ونحو ذلك وهذا لا ملام عليه فيه وما صدر عنه في حال زوال عقله فهو فيه معذور لان القلم مرفوع عن كل من زال عقله بسبب غير محرم كالمنفى عليه والمجنون ونحوهما ومن زال عقله بالخمر فهل هو مكلف حال زوال عقله؟ فيه قولان مشهوران وفي طلاق من هذه حالة نزاع مشهور ومن زال عقله بالبنج يلحق به كما يقوله من يقوله من أصحاب الشافعي واحمد وقيل يفرق بينه وبين الخمر لان هذا يشتهي وهذا لا يشتهي ولهذا اوجب الحد في هذا دون هذا وهذا هو المنصوص عن احمد ومذهب ابي حنيفة

ومن هؤلاء من يقوى عليه الوارد حتى يصير مجنوناً إما بسبب خلط يظلب عليه وإما بغير ذلك ومن هؤلاء عقلاء المجانين الذين يعدون في النساك وقد يسمون المولاهين قال فيهم بعض العلماء هؤلاء قوم أعطاهم الله عقولا وأحوالا فسلب عقولهم اللهم وأسقطوا بقی أحوالهم فلهذا الحال التي يقترب بها الفشى أو الموت أو الجنون أو السكر أو الفناء حتى لا يشعر بنفسه ونحو ذلك اذا كانت أسبابها مشروعة وصاحبها صادقا عاجزا عن دفعها كان محموداً على ما فعله من الخير وما ناله من الايمان معذورا فيما عجز عنه وأصابه بغير اختياره وهم أكل ممن لم يبلغ منزلتهم لنقص ايمانهم وقسوة قلوبهم ونحو ذلك من الاسباب التي تتضمن ترك ما يحبه الله أو فعل ما يكرهه الله ولكن من لم يزل عقله مم انه قد حصل له من الايمان ما حصل لهم أو مثله وأكل منه فهو افضل منهم (هـ) وهذه حال الصحابة رضي الله عنهم وهو حال نبينا صلى الله

(\*) الناو : هذه المرتبة الثالثة وهي العليا ولم يصرح هنا بالعدد

## ٧٥٠ صوفية البصرة وقهاء الكوفة . مدحهم وذمهم ( المجلد ١٠ م ١٢ )

عليه وسلم فانه أسري به الى السماء وأراه الله ماأراه وأصبح كباثت لم يتغير عليه حاله فخاله أفضل من حال موسى صلى الله عليه وسلم الذي خر صمقا لما تجلى ربه للجبل وحال موسى حال جليلة عليّة فاضلة لكن حال محمد صلى الله عليه وسلم اكمل واعلا وافضل .  
والمقصود ان هذه الامور التي فيها زيادة في العبادة والاحوال خرجت من البصرة وذلك لشدة الخوف فأت الذي يذكرونه من خوف عتبة الغلام وعطاء السلمي وامثالهما امر عظيم ولا ريب ان حالهم اكمل وافضل ممن لم يكن عنده من خشية الله ما قابلهم او تفضل عليهم ومن خاف الله خوفا مقتصدا يدعوه الى فعل مايجبه الله وترك ما يكره الله من غير هذه الزيادة فخاله أكمل وافضل من حال هؤلاء وهو حال الصحابة رضي الله عنهم وقد روي ان هطاء السلمي رضي الله عنه رؤي بعد موته قهقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال قال لي يا عطاء أما استحييت مني أن تخافني كل هذا أما بلغك اني غفور رحيم .

وكذلك ما يذكر عن أمثال هؤلاء من الاحوال من الزهد والورع والعبادة وأمثال ذلك قد ينقل فيها من الزيادة على حال الصحابة رضي الله عنهم وعلى ماسنه الرسول أمورا توجب ان يصير الناس طرفين قوم يذمون هؤلاء وينتقصونهم وربما أسرفوا في ذلك وقوم يغالون فيهم ويجهلون هذا الطريق من اكمل الطرق وأعلاها والتحقق انهم في هذه العبادات والاحوال مجتهدون كما كان جيرانهم من اهل الكوفة مجتهدين في مسائل القضاء والامارة ونحو ذلك وخرج فيهم الرأي الذي فيه من مخالفة السنة ما انكره جمهور الناس وخيار الناس من اهل الفقه والرأي في اولئك الكوفيين على طرفين قوم يذمونهم ويسرفون في ذمهم وقوم يغالون في تعظيمهم ويجعلونهم اعلم بالفقه من غيرهم وربما فضلوهم على الصحابة كما ان الغلاة في اولئك العباد قد يفضلونهم على الصحابة وهذا باب يفرق فيه الناس

وانه سواب للمسلم ان يعلم ان خير الكلام كلام الله وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وخير القرون القرن الذي بعث فيهم وان افضل الطرق والسبل الى الله ما كان عليه هو واصحابه ويعلم من ذلك ان على المؤمنين ان يتقوا الله بحسب اجتهادهم ووسمهم كما قال الله تعالى « فاتقوا الله ما استطعتم » وقال صلى الله عليه وسلم « اذا



## (المراجع: ١٢٠١) بيان ان الصلابة اكل المسلمين. لتتصوف حقائق واحوال ٧٥١

أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم » وقال « لا يكلف الله نفسا الا وسعها » وان كثيرا من المؤمنين المتقين اولياء الله قد لا يحصل لهم من كمال العلم والايمان ما حصل للصحابة فيتقي الله ما استطاع ويطيعه بحسب اجتهاده فلا بد ان يصدر منه خطأ اما في علومه واقواله واما في اعماله واحواله ويثابون على طاعتهم ويغفر لهم خطاياهم فان الله تعالى قال « آمن الرسول بما انزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا يفرق بين احد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا واليك المصير — الى قوله — ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطانا » قال الله تعالى قد فعلت . فمن جعل طريق احد من العلماء والفقهاء أو طريق احد من العباد والنسك افضل من طريق الصحابة فهو مخطيء ، ضال مبتدع ومن جعل كل مجتهد في طاعة اخطأ في بعض الامور مذموما مميما ممقوتا فهو مخطيء ، ضال مبتدع .

ثم الناس في الحب والبغض والموالاته والمعاداته هم ايضا مجتهدون يصيبون تارة ويخطئون تارة وكثير من الناس اذا علم من الرجل ما يحبه احب الرجل مطلقاً واعرض عن سيئاته واذا علم منه ما يبغضه أبغضه مطلقاً واعرض عن حسناته محاط (؟) وحال من يقول بالحافظ (؟) وهذا من أقوال أهل البدع والخوارج والمعتزلة والمرجئة وأهل السنة والجماعة يقولون ما دل عليه الكتاب والسنة والاجماع وهو ان المؤمن يستحق بوعده الله وفضله الثواب على حسناته ويستحق العقاب على سيئاته وإن الشخص الواحد يجتمع فيه ما يثاب عليه وما يعاقب عليه وما يحمده عليه وما يذم عليه وما يحب منه وما يبغض منه فهذا هذا .

واذا عرف ان منشأ التصوف كان من البصرة وانه كان فيها من يسلك طريق العبادة والزهد مما له فيه اجتهاد كما كان في الكوفة من يسلك من طريق الفقه والعلم ما له فيه اجتهاد وهؤلاء نسبوا الى اللبسة الظاهرة وهي لباس الصوف فقيل في أحدهم صوفي وليس طريقهم مقيدا بلباس الصوف ولا هم أوجبوا ذلك ولا علقوا الأمر به لكن أضيفوا اليه لكونه ظاهر الحال

ثم التصوف عندهم له حقائق واحوال معروفة قد تكلموا في حدوده وسيرته وأخلاقه كقول بعضهم الصوفي من صفا من الكدر وامتلأ من الفكر ، واستوى

## ٧٥٢ التحقيق في اختلاف الناس في ذم الصوفية ومدحهم (المنازع ١٠ م ١٢)

عنده الذهب والحجر، التصوف كتمان المعاني، وترك الدعاوي، واشباه ذلك. وهم يسبّرون بالصوفي إلى معنى الصديق وأفضل الخلق بعد الأنبياء الصديقون كما قال الله تعالى « أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا » ولهذا ليس عندهم بعد الأنبياء أفضل من الصوفي لكن هو في الحقيقة أنواع من الصديقين فهو الصديق الذي اختص بالزهد والعبادة على الوجه الذي جتهدوا فيه فكان الصديق من أهل هذه الطريق كما يقال صديقو العلماء وصديقو الأئمة فهو أخص من الصديق المطلق ودون الصديق الكامل الصديقية من الصحابة والتابعين وتابعيهم، فإذا قيل عن أولئك الزهاد والعباد من البصريين أنهم صديقون فهو كما يقال عن أئمة الفقهاء من أهل الكوفة أنهم صديقون أيضا كل بحسب الطريق الذي سلكه من طاعة الله ورسوله بحسب اجتهاده وقد يكونون من أجل الصديقين بحسب زمانهم فهم من أكمل صديقي زمانهم وإن الصديق في العصر الأول أكمل منهم والصديقون درجات وأنواع ولهذا يوجد لكل منهم صنف من الأحوال والعبادات حققه وأحكمه وغلب عليه وإن كان غيره في غير ذلك الصنف أكمل منه وأفضل منه .

ولاجل ما وقع في كثير منهم من الاجتهاد والتنازع فيه تنازع الناس في طريقهم فطائفة ذمت الصوفية والتصوف وقالوا أنهم مبتدعون خارجون عن السنة ونقل عن طائفة من الأئمة في ذلك من الكلام ما هو معروف وتبعهم على ذلك طوائف من أهل الفقه والكلام، وطائفة غلت فيهم وادعوا أنهم أفضل الخلق وأكملهم بعد الأنبياء وكلا طرفي قصد الأمور ذميم والصواب أنهم يجتهدون في طاعة الله كما اجتهد غيرهم من أهل طاعة الله ففهم السابق السابق المقرب بحسب اجتهاده وفيهم المقتصد الذي هو من أهل اليمين وفي كل من الصنفين من قد يجتهد فيخطئ وفيهم من يذنب فيتوب أولا يتوب ومن المتسبين اليهم من هو ظالم لنفسه عاص لربه وقد انتسب اليهم طوائف من أهل البدع والزندقة ولكن عند المحققين من أهل التصوف ليسوا منهم كالحلاج مثلا فإن أكثر مشايخ الطريق أنكروه وأخرجوه عن الطريق مثل الجنيد محمد سيد الطائفة وغيره كما ذكر ذلك الشيخ أبو عبد الرحمن

## (المنار ج ١٠ م ١٢) اصناف الصوفية الثلاثة والفقراء منهم ٧٥٣

السلي في طبقات الصوفية وذكره الحافظ ابو بكر الخطيب في تاريخ بغداد .  
فهذا أصل التصوف ثم انه بعد ذلك تشعب وتنوع وصارت الصوفية ثلاثة أصناف  
صوفية الحقائق وصوفية الارزاق وصوفية الرسم فأما صوفية الحقائق فهم الذين وصفناهم وأما  
صوفية الارزاق فهم الذين وقفت عليهم الوقوف كالخوانك فلا يشترط في هؤلاء أن  
يكونوا من أهل الحقائق فان هذا عزيز واكبر أهل الحقائق لا يتصدون بلوازم الخوانك  
ولكن يشترط فيهم ثلاثة شروط احدها العدالة الشرعية بحيث يؤدون الفرائض  
ويجتنبون المحارم والثاني التأدب بآداب أهل الطريق وهي الآداب الشرعية في غالب  
الاقوات وأما الآداب البدعية الوضعية فلا يلتفت اليها ، والثالث ان لا يكون احدهم  
تمسكا بفضول الدنيا فاما من كان جماعا للمال أو كان غير متخلق بالاخلاق الحمودة  
ولا يتأدب بالآداب الشرعية أو كان فاسقا فانه لا يستحق ذلك . وأما صوفية الرسم فهم  
المقصرون على النسبة فهمهم في اللباس والاداب الوضعية ونحو ذلك ف هؤلاء في الصوفية  
بمنزلة الذي يقتصر على زي أهل العلم وأهل الجهاد ونوع ما من اقوالهم واعمالهم بحيث  
يظن الجاهل حقيقة أمره انه منهم وليس منهم

واما اسم الفقير فانه موجود في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لكن  
المراد به من الكتاب والسنة الفقير المعادل للقي كما قال النبي صلى الله عليه وسلم (١)  
والفقراء والفقراء انواع فنه المسوخ لاخذ الزكاة وضده القني المانع المحرم لاخذ الزكاة  
كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « لا تحمل الصدقة لقني ولا تهوي مكتسب » والقني  
الموجب للزكاة غير هذا عند جمهور العلماء كمالك والشافعي واحمد وهو ملك النصاب  
وعندهم قد يجب على الرجل الزكاة ويباح له اخذ الزكاة خلافا لابي حنيفة والله  
سبحانه قد ذكر الفقراء في مواضع لكن ذكر الله الفقراء المستحقين للزكاة في آية  
والفقراء المستحقين للقي في آية فقال في الأولى « ان تبدوا الصدقات فنعما هي  
وان تحفوها وتوتوها الفقراء فهو خير لكم — الى قوله — للفقراء المهاجرين الذين  
احصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل اغنياء من  
التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا » وقال في الثانية « ما افاء الله على

(المنار ج ١٠) (٩٥) (المجلد الثاني عشر)



## ٥٤٧ المفاضلة بين الغني والفقير، والفقير والصوفي (المارچ ١٠ م ١٢)

رسوله من اهل القرى - الآية الى قوله - للفقراء المهاجرين الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله اولئك هم الصادقون »  
وهؤلاء الفقراء قد يكون فيهم من هو افضل من افضل من كثير من  
الاغنياء وقد يكون من الاغنياء من هو افضل من كثير منهم وقد تنازع الناس ايما  
افضل الفقير الصابر او الغني الشاكر والصحيح ان افضلها اتقاها فان استويا في  
التقوى استويا في الدرجة كما قد بيناه في غير هذا الموضع فان الفقراء يسبقون الاغنياء  
الى الجنة لا حساب عليهم ثم الاغنياء يحاسبون فمن كانت حسناته ارجح من حسنات  
فقير كانت درجته في الجنة اعلى وان تأخر عنه في الدخول ومن كانت حسناته دون  
حسناته كانت درجته دونه لكن لما كان جنس الزهد في الفقر اغلب صار الفقر في  
اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد وهو من جنس التصوف فاذا قيل  
هذا فيه فقر او مافيه فقر لم يرد به عدم المال ولكن يرد به ما يراد باسم الصوفي من  
المعارف والاحوال والاخلاق والآداب ونحو ذلك وعلى هذا الاصطلاح قد تنازعوا  
ايما افضل الفقير او الصوفي فذهب طائفة الى ترجيح الصوفي كابى جعفر السهروردي  
ونحوه وذهب طائفة الى ترجيح الفقير كطوائف كثيرين وربما يختص هؤلاء بالزوايا  
وهؤلاء بالخوانك ونحو ذلك واكثر الناس قد رجحوا الفقير والتحقيق ان افضلها  
اتقاها فان كان الصوفي اتقى لله كان افضل منه وهو ان يكون أعمل بما يحبه الله  
وأترك لما لا يحبه فهو افضل من الفقير وان كان الفقير أعمل بما يحبه الله وأترك لما  
لا يحبه كان افضل منه فان استويا في فعل المحبوب وترك غير المحبوب استويا في  
الدرجة « واولياء الله هم المؤمنون المتقون سواء سمي احدهم فقيرا او صوفيا او قهيا  
او عالما او تاجرا او جنديا او صائغا أو اميرا او حاكما او غير ذلك

قال الله تعالى « ألا ان أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون » الذين آمنوا  
وكانوا يتقون » وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم  
قال يقول الله تعالى « من عادى لي وليا فقد بارزني بالحاربة وقاتلني عدي بمثل  
ما قترضت عليه ولا يزال عدي يتقرب اليّ بالتوافل حتي أحبه فاذا أحبته كنت  
منه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي

بها، في يسمع وبي يصرو بي يطش وبي يمشي ولئن سألتني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعذنه وما ترددت عن شيء أنا فاعله كترددني عن قبض نفس عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له منه» وهذا الحديث قديين فيه أولياء الله المقتصدين أصحاب اليمين المقرين والسابقين ، فالصنف الأول الذي هربوا إلى الله بالفرائض والصنف الثاني الذي هربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض وهم الذين لم يزالوا يتقربون إليه بالنوافل حتى أحبهم كما قال تعالى وهذان الصنفان قد ذكروهم الله في غير موضع من كتابه كما قال « ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفتينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات » وكما قال الله تعالى « ان الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون » تعرف في وجوههم نضرة النعيم » يستقون من رحيق مخثوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون » ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقرَّبون » قال ابن عباس يشرب بها المقرَّبون صرفاً وتمزج لأصحاب اليمين مزجاً قال تعالى ان « الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها زنجبيلاً » عينا فيها تسمى سلسبيلاً » وقال تعالى « وأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والسابقون السابقون أولئك المقرَّبون » وقال تعالى « فاما ان كان من المقرَّبين فروح وريحان وجنة نعيم » واما ان كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين »

وهذا الجواب فيه جمل يحتاج إلى تفصيل طويل لم يتسع له هذا الموضع والله اعلم

### ﴿ الشيعية والمسلمون ﴾

سألنا عن قوائنا في البابية انهم ليسوا من الشيعة ولا من المسلمين ألا يفيد هذا القول ان الشيعة أيضاً ليسوا بمسلمين ؟ فقلنا : لا بل هذا من باب المقابلة بين العام والخاص لما هو معلوم عند قراء المتأخر وغيرهم من كون الشيعة مسلمين والقاعدة انه اذا قيل الخاص بالعام يراد بالعام ما وراء الخاص فاذا قلت ان فلانا ليس بسوري ولا عثماني كان المراد بلفظ العثماني ما يشمل غير السوريين من العثمانيين ولا يدل على ان السوري ليس بعثماني . فلما كانت الشيعة فرقة من المسلمين وتبين ان تكون طائفة البابية منهم وان ظهرت فيهم كان لظان ان يظن ان البابية ربما خرجت من مذهب الشيعة بمخالفته في المسائل التي كان بها مذهبها خاصاً فقط وبقوا على اصل عقائد الاسلام التي لا خلاف فيها بين الشيعة وغيرهم فبيننا ان ذلك ايضا غير صحيح وانهم ليسوا من المسلمين مطلقاً

## مكة المكرمة (١)

### والجرائد المربية

ان لدينا اليوم حكومة مهمة مالكة لجميع حقوقها المدنية ومركزنا السياسي وموقعنا الجغرافي لا يضاهيه مركز ولا يضارعه موقع وفي يدنا نعمة عظيمة تقدر بنعم الدنيا كلها وهي نعمة « الخلافة » على الأمم الإسلامية كلها نحن أرقى الجميع في العلم والعرفان فلماذا لا نتأثر من الذل الذي يلحق اخواننا في بخاري ؟ لماذا نظل فاقددي الشعور امام المصائب التي تنزل باخواننا في مراكش ؟ ألم يكفنا أننا نسلطنا إلى درجة كدنا نضمحل فيها بالتعمل بلفظ « لا يصير » و « ما يعني » ؟

ألم يكف باننا قد جعلنا تحت الارض قيد الذل والاسر مئآت الملايين من اخواننا في الدين بسبب عدم التفاهم ؟ هل نحن واقفون على الحالة السياسية والضغطية الموجود فيها اخواننا المسلمون في أستراليا وفي جاوة ؟ هل نحن مطلعون على طرز ادارة المسلمين في الصين وأحوالهم المعاشية ؟ لا نذهب بعيداً ، هل نحن على علم تام بمصائب متاخينا ومجاورينا الإيرانيين ؟ أو على الملم بذل القمقاسيين ؟ أو سفالة القرعبيين ؟ أو سياسة الصربيين ؟ أو سائر أحوال غيرهم من المسلمين ؟ لنترك هؤلاء أيضاً . هل نذرنا لا نقاذ جزيرة العرب التي تبلغ ثلاثة اضعاف بلاد البلقان من الجمل الحجم عليها منذ قرون ؟ أليس ذلك عارا علينا ؟ ان اهمالنا لهذه الدرجة مما تحار له عقول ذوي العقول ؟ أيها المؤمنون ما هذه الغفلة ؟ أيها المسلمون ما هذا الاهمال ؟ لماذا بقينا متخاذلين متشتتين ؟ لماذا وصلنا إلى هذه الدرجة من الخيرة ؟

\* مقال ل محمد عالم افندي من كتاب الترك وعلمائهم نشر في مجلة « صراط مستقيم » التي تصدر في الاسكندرية وقد نشر مترجما في مجلة الترأس وحضرة جريدة المنيد وعنها أخذنا



## (الناشر ١٠م ١٢) مكة المكرمة والجرائد العربية ٧٥٧

ان سكوتنا هذا يحمله الجاهلون على المسكنة المتأصلة بفطرتنا والمفسدة الموجودة في ديننا « حاشا ثم حاشا »

قد وصلنا الى درجة من الجهل أصبحنا بها نسمع ألفاظ العدا من لسان الأوداء، لا من لسان الأعداء، حتى أصبحنا عرضة لأمثال هذه الأقوال اللثيمة : « أي شيء رقا المسلمون ؟ بل أي شيء أمكن للمسلمين ان يرتقوا به ؟ »

هنا يتهاافت اخواتنا وبنو قومنا بدون ان يعملوا فكرتهم الى القول بان أوربا تحارب الدين غير عالمين كيف تحارب أوربا الدين وأي دين تحارب ! فيمحقون بأشراك الشبهات والأضاليل غير متفكرين بمرامي كلامهم وما يجره من الرزايا والكوارث ومتخيلين ان الترقى الحاضر لم ينشأ الا عن محاربة الدين !

أليس القول : بأي شيء ارتقى المسلمون ؟ يرمي الى ان الاسلام مانع من التمدن ؟ ؟ تالله ان البلاءة الموجودة عندنا هي من الفزابة بمكان ، ان قائل هذا القول يعلم يقينا ان الاندلس و بغداد كانتا منبعاً للتمدن الأوربي الحالي ، ومصدرا للعلم الحاضر ، فهل كان الدين الاسلامي في ذلك الحين غير الدين الاسلامي اليوم ؟ فما هذا التناقض !

كيف يمكن ان تكون شريعتنا الاسلامية وهي جامعة لقواعد الارتقاء والتمدن حاجزا في طريق الترقى ؟

ان نظرة سطحية الى احكام الدين الاسلامي تكفي لأن يبين منها بانها أساس متين للارتقاء ونظام مكيّن للملاء

نعم نحن نعتز بان المسلمين لهذا العهد قد وصلوا الى درجة من الامتهان والازدراء بحيث لو ادعوا وهم على حالتهم الحاضرة بانهم مرتقون لاصبحوا سخريه ، لكن في هذه الحالة لا يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم مسلمين ، بل يجب ان نلقي الذنب عليهم لكونهم غير مسلمين حقيقة ، وما ذاك إلا لانهم لم يعملوا بالاحكام الاسلامية على وجوها ، بل خالفوا الشرع ونبذوا الامور الإلهية وراء ظهورهم ، والا فان الاندفاع الى إنكار سماحة الدين الاسلامي وتساوله مع العلم

## ٧٥٨ مكة المكرمة والجرائد العربية ( الملتاح ١٠م ١٢ )

والارتقاء استنادا على جهل بنيه هو أشبه بالاستدلال على حسن رجل أو قبحه من خيوط شعره الموجودة في اليد

إن الدين الاسلامي يأمرنا بالاجتماع في محل واحد خمس مرات في النهار ولا ريب ان هذا الاجتماع يرمي الى كثير من المعاني الدقيقة والاشارات الرقيقة شأن الاوامر والنواهي الاسلامية كلها

أيها القوم ! يجب علينا ان نجتمع ، يجب علينا ان يرى بعضنا بعضا ، يجب على كل منا ان يبحث عن الآخر ، يجب علينا ان نسأل عن المتخلف عن الحضور يجب ان نعلم ما هي حالته ، أو ما الذي دعاه الى التخلف ، فإذا كان ثمة من كرب أو كارثة فلنجهدهم بازالة كربهم ، فالتنا بهذا العمل نكون متعاونين على البر ، بل نكون جددنا اتحادنا واتفاقنا في كل وقت ، والا فلو كانت الغاية من الصلاة جماعة هي نفس الصلاة لكانت صلاة الانسان في أي محل يستسهله ممدوحة ومباحة عملاً بقوله تعالى « ما جعل عليكم في الدين من حرج »

إن صلاة الجماعة كما تكون وسيلة حسنة لاجتماع أهالي محلة واحدة وسببا لتعارفهم واتفاقهم في كل يوم خمس مرات تكون لاهل البلدة كلها في جامع واحد في الاجتماع لصلاة الجمعة ولذلك اختلف في جواز صلاة الجمعة في جامعين في بلدة واحدة واجتماع الناس في صعيد واحد يتسنى به للخطيب ان يلقي عليهم المواعظ والنصح ويطلعهم على الشؤون الاسلامية بصورة إجمالية

ثم ان الدين الاسلامي قد أمر باجتماع آخر أعم وأشمل وأكثر تأثيرا وهو اجتماع أغنياء المسلمين في العالم في صعيد واحد كل سنة

وعليه فان أغنياء المسلمين النافذي الكلمة من كل مملكة وكل بلدة يجتمع بعضهم ببعض مرة في العمر على الاقل في محل عينه الشارع وجعل شد الرحال اليه فرضا وهناك يتفاوضون مع سفراء اخوانهم في الدين ويتعارفون ويتعرفون شئون اخوانهم اثنتين ومن الحكمة في هذا الفرض انه جعل فرضا على الآباء والابناء على السواء فإذا حج الوالد فلا يسقط عن الولد

يجتمع المسلمون في هذا الموقف في الوقت المعين فيمتزجون ويتباحثون فيما

## ( المأرج ١٢م١٠ ) مكة المكرمة والجرائد العربية ٧٥٩

يعود عليهم بالنفع ويتفكرون في الوسائل التي تجعلهم جسدا واحدا إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الجسد بل يجعلهم يقرون على خطة يسرون عليها سعيًا وراء كل ما يرمون إليه من الآمال الكبيرة

الاجتماع في الحج واقتداء مئات الالوف بامام واحد وقت الصلاة يصور للمسلمين الاتحاد مجسما . الاجتماع في الحج يجعل المسلمين مطلعين على شئون مجموعهم في كل حين . الاجتماع في الحج يجعل أمل المسلم في طنبجه هو نفس أمل المسلم في كشمير ويجعل ما يشعر به « أحمد » في القزان يشعر به « محمد » في الترنسفال أيها القوم ! أليس من الأسف ان تكون أوامر ديننا بهذه الدرجة العالية من الحكمة ونحن نعد أداء الصلوات الخمس فضلا عن أداء فريضة الجمعة والحج أشبه بعمل زائد ؟ ؟

من منا بهم بشأن الصلاة ؟ على انا وان صلينا فانا نعد الذهاب الى الحامع عملا لا لزوم له !

أيها القوم ! لنفكر بانصاف : اذا كنا نحن لانهم بأمر الاجتماع الذي يأمر به الدين فهل يكون الذنب على الدين أم على أهل الدين ؟ ؟ نعم ان دور الاستبداد كان يمنعنا عن التصريح بأمثال هذا الكلام بل كان يمنعنا عن التفكير به . اما اليوم فانه لا يقف بوجهنا حاجز عن التصريح بكل حقيقة ، كلنا نتمنى ان نرى الدولة العثمانية دولة عزيزة الحى ، منيعة الجانب مرهوبة الشبا ، لكن يا ترى لماذا لا تدرع بالوسائل التي تهوي العنصر الاصلي للاسلام « وهو العنصر العربي » بل لماذا لا تقوي الاسلام نفسه ؟ أول عمل يجب الشروع به في رأي هذا العاجز هو توثيق روابط الاتحاد وتحكيمها كما نحن مأمورون شرعا ، والاتحاد لا يؤيد ولا يوثق إلا بانشاء جرائد عربية خاصة تنشر وتعم

اللسان الفرنسي هذه الاوربيون اللسان الرسمي العمومي بينهم ، واللسان العربي يعده المسلمون اللسان الرسمي الديني العمومي بينهم - اية بلدة أو مملكة إسلامية تعد اللسان العربي غريبا ؟ اية جمعية إسلامية تعد الكتاب العربي اجنبيا ؟ - وعليه فأي شأن من الشؤون النافلة تقصر الجرائد العربية عن القيام بادائه



## ٧٦٠ مكة المكرمة والجرائد العربية (الناوچ ١٠م ١٢)

انا وايم الله لنأسف كل الاسف لانا لم تذرع حتى الآن بشي من هذا القليل بل اني أعد عدم تذرعنا بذلك عاراً نعم يجب علينا لتحويل حركة الرأي العام الى هذه الجهة ان نفقد المجتمعات والمؤتمرات ولكن في أي مكان فقدنا؟  
انه يوجد لهذه الغاية الشريفة محل مبارك هو أهم من الاستانة ومصر ويمكن ان يتخذ مركزا وهو مكة المكرمة كرمها الله الى يوم القيامة

اذا كان صوت الشريعة الفراء يجمع كل سنة مئات الالوف من الحجاج واذا كان كثير من ذوي الثروة والكلمة النافذة من كل ارجاء الارض مكلفين أن يعرفوا هذه الجهة المقدسة أفلا نستفيد نحن شيئا؟ انا مع الاسف لم نعمل شيئا حتى الآن لكن مادامت غايتنا الآن العمل على ترقية الامة الاسلامية فان تلك الخطوة هي احسن وسيلة للوصول الى ما نرعى اليه

وأسفاه! ان حجاجنا الذين يجتمعون في تلك الارضاء تراهم بسبب رزية جملهم وسبب عدم وجود مرشد لهم يكتفون بمواجهة بعضهم لبعض فقط فلا يتطرقون الى البحث في احوالنا لا الديني منها ولا الدنيوي

نقد في الايام الاخيرة في مدينة «موسكو» مؤتمر مؤلف من جميع ارجاء بلاد السلاف ان تصور هذا المؤتمر وحده كاف لان يصور لنا مقدار الفوائد العظيمة التي نالها اصحابه منه وما نتج لنا من الضرر الذي لحقنا منذ زمن قريب بسببه

ان هذا المؤتمر لا يمكن ان يجتمع به أكثر من مئة أو مئتي شخص واذا بلغ الغاية فانه يجمع الف نفس ليس الا . ومع ذلك فانهم قد حلوا بواسطته عدة مشا كل ونالوا ما كانوا يطمحون اليه

اما نحن فما الذي صنعناه؟ نعم ما الذي صنعناه نحن؟ انا الى الآن لم تقدر ان نمدن ما حوالي مكة . بل انا نحن الى الآن لم تقدر ان نفهم باننا مسلمون مثلهم العربان في تلك الارضاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون قتل المسلم الحاج حلالا مباحا طعما بسلب ثلاث أو خمس ليرات منه!

العربان في تلك الارضاء لم يزالوا حتى اليوم يعدون كل من لا يحسن التكلم بالعربية من حجاج بيت الله الحرام مشركا

(المنار ج ١٠ م ١٢) مكة المكرمة والجرائد العربية ٧٦١

نعم ان التأسف على الماضي لا يجدي بيد ان الذي يجدي هو أن نجد ونجتهد لكي نجعله ماضيا وبعبارة أوضح هو ان نجد ونجتهد لكي لا نجعل الآتي كالماضي  
اقول بكل صراحة اننا اذا اردنا ان نهض بالامة الاسلامية يجب علينا ان نوجه كل اهتمامنا الى مكة . . . . لان . . . . الوسائل التي تنهض بالدولة العثمانية وتجعلها في عداد الدول القوية التي تأتي ان تغلب انما تنالها بتلك الارزاء  
يجب علينا ان نجعل لتلك الارزاء اهمية سياسية كاهمية العاصمة نفسها لانها منبع علومنا المدنية ومقر سياستنا الاسلامية

يجب ان ننشر بتلك الارزاء جميع الجرائد والكتب التي تطبع باللغات الاسلامية  
يجب ان تُلقى الخطب الاجتماعية بتلك الارزاء . يجب ان تفتح اهم مكاتبنا ( المدارس ) في تلك الارزاء

يجب ان توزع من تلك الارزاء بذور الاتحاد على جميع انحاء العالم  
يجب ان نجعل تلك الارزاء بدرجة اذا رأى بها احد مكة المكرمة يظن انه رأى الممالك الاسلامية ويعتقد بانه اطلع على زيادة آمال الامة  
يجب ان يقتنع المسلم الذي يحب الوقوف على الشؤون الاسلامية بانه اذا رأى مكة المكرمة اصبح واقفا على النموذج احوال الامة لدرجة كافية

يجب علينا ان نجعل هدايتنا « اهالي مكة » يتخرجون من كلية علمية منظمة .  
يجب ان يدخل اهالي مكتنا المكرمة في دور عمراني مهم . ان هذا المقام مقدس وكل يوم نوجه وجوهنا اليه خمس مرات . اذا كانت الاستانة وجهتنا في المعاملات فمكة وجهتنا في العبادات اذا كانت الاستانة مركز خلافتنا فمكة مركز ديارتنا  
اني اعتقد ان المسلمين لا يستفيدون استفادة حقيقية من المدنية الاسلامية التي هي المدنية الحقيقية الا بانحاء مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة

ربما يتخيل بعض الناس ان انحاء مكة المكرمة مركزا للعلم والحضارة يضر بالاستانة نفسها ، لكن اظن أن المدنية الاسلامية والعلوم الحقيقية اذا نشرت في مكة على وجهها الحقيقي لا تنتج أقل ضرر فيجب ان نجعلها مثابة للعلم ، ومهبطا ومركزا للتقسيم  
(المنار ج ١٠) (٩٦) (المجلد الثاني عشر)

## ٧٦٢ مكة المكرمة والجرائد العربية ( المارچ ١٠م ١٢ )

والتوزيع ، لان موقعها اشرف المواقع بلا استثناء ، وقد اختارها رب الأرض باب من بين البلدان كافة وجعلها مقر بيته الحرام . وقبلة المسلمين في جميع أرجاء الأرض وعليه فان مكة أنفع للحكومة العثمانية من كل جهة ، بل ومن كل وجهة ، واذا فكر أولياء الأمور وأولو الشأن وأرباب الأقاليم منا بهذه النقطة الدقيقة فلا شك في انهم يحزمون بالفوائد الكثيرة التي نالها

ليس الواجب ان تشمل تلك الأرجاء السياحات النافعة المفيدة التي يجريها امثال اسماعيل غصبرنسكي وغيره من الضيوريين المتفانين باعلاء كلمة الدولة والامة ؟ ليس من الواجب ان لا يحرم الحاج المسلمون من ارشادات هؤلاء الافاضل ايها القوم ! علينا بالعمل . يجب أن يبدأ بالارشاد من مكة . يجب ان ترسل اوراق الدعوة الى افاضل الامة وانا على يقين بانه لا تمضي مدة الا والعالم الاسلامي قد انتقل من طور الى طور

أيها القوم ! ان العرب ، والمصريين ، والمراكشيين ، والزيديين ، والایرانیين والافغانين ، والهنديين ، والصينيين ، والجاويين ، والبخاريين ، والأتراك ، والاكراد واللازيين ، والالبانيين ، والجزائريين - كلهم قد ولوا وجوههم نحونا ينتظرون كلمة ( الدعوة ) لتصدر منهم كلمة ( الاجابة ) حالا

ايها القوم ! ان الالمانيين والمجريين والسكسونيين والسلافيين والاغريقين كلهم باذلون قصارى جهدهم وراء الاتحاد والاتفاق

ايها القوم ! ان بقاءنا مهملين أمر المحافظة على كياننا وحقوقنا أمام الأمم أجمع هو من الجرائم الكبيرة التي لا نفتقر بوجه من الوجوه

ايها القوم ! لماذا التقاعس ؟ لماذا لا نبحث عن الوسائل التي نمدن المسلمين كافة ونجعلهم متمدينين ؟ أسنا من بني الانسان !

ايها القوم ! يجب ان نزيل الاقذاء المفضية على صماخ آذاننا لعلنا نسمع بها كيف ان الأمم تجدد وتجتهد لتكون في مركز يهدد كيان غيرها

ايها القوم ! انا نسمع الذين يلقبون بلقب ( لورد ) او ( موسيو ) بأسفوف اوجود قسم من بني الانسان يسمى المسلمون ! فما هذا الذل ؟ وما هذا العار ؟ افلا



## (المنار ١٠ م ١٢) مكة المكرمة والجرائد العربية ٧٦٣

يجب علينا ان نجد ونجتهد لنقدر ان نطبق علينا ( حقوق الدول )  
ايها المسلمون ! يجب ان تنهتوا فان القافلة قد شدت الرحال وغذت في المسير

والسلام على من اتبع الهدى اه

( المنار ) طرقتنا باب هذا البحث : بحث جعل مكة مهد الاصلاح الاسلامي ،  
في السنة الاولى من المنار وفصلنا القول فيما يجب منه تفصيلا ، ووجهنا الخطاب في  
ذلك الى مقام الخلافة في الاستانة لا لانتا كنا نرجو من ذلك المقام اقيام بالاصلاح  
المطلوب فاننا كنا على قلة ما نعلم من سينات الحكم الحميدي في ذلك العهد لم نكن  
مفترين بذلك السلطان ومن ذوي الرجاء فيه بل كتبنا ذلك ليفكر فيه المفكرون  
فيقوى الاستعداد له ، اما وقد صار شكل حكومتنا دستوريا فان لنا رجاء في كل  
إصلاح ولكن يعوزنا الرجال المنفذون ، يعوزنا الرجال القادرون ، يعوزنا الرجال ،  
الرجال ، الرجال ، فهل من وسيلة لايجاد الرجال ؟؟



## باب المناظرة والمراسلة

### إيضاح وانتقاد

العلامة المفضل السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار المنير

( ١٣ - السلام عليكم ورحمة الله ) وبعد فقد اطلعت على جوابكم بالمنار ( صحيفة ٥٣٧ ج ٧ م ١٢ ) واني اشكركم على كل حال وارجو ان تفسحوا للضيف مجالا في صدر حلمكم فان الكمال لله وحده وان خوفي من التطويل مع رقة جسم المنار هو الذي جعلني اقصر عن زيادة الايضاح في أول الامر بل كثرة اشتغالي بمصالح الحكومة تجعلني اختلس القليل من وقت راحتي لا كتب ما ارى ذمتي تطالبني ببيانها اجمالا مع اعترافي بالمعجز وان كان فيما اكتب شيئا من العساسة فهازت اقول « رب زدني علما » حتى تتمكنوا من فهم قصدي الحسن واني باسم الله الاكبر ابتدئ في بيان المقصود فاقول :

( ١٤ - القسمة في الآخرة ) ذكرت في صحيفة ٥٤٤ ج ٧ م ١٢ ان الناس ينقسمون في الآخرة الى قسمين شقي وسعيد وأنهم فيها فريقان « فريق في الجنة وفريق في السعير » فهذا لا يخالفكم فيه في شيء

( ١٥ - مساواة الناس في بدء الخلقة ) قلتم في صحيفة ٥٤٤ « وانه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه » ففهمت من ذلك ان الله تعالى بدأ خلق الناس قسمين شقيا وسعيدا وانه تعالى اخرجهم في هذه الحياة على هذه القسمة وانه سيعيدهم في الآخرة على نفس هذه القسمة بلا تغيير ولا تبديل حيث ايدتم ذلك بقولكم « انه كما قسمهم الى شقي وسعيد في الدنيا والآخرة قسم بينهم » الخ... وهذا ما يخالفكم فيه ولا اوافقكم عليه من بعض الوجوه للاسباب الآتية :

اولا : خلق الله الناس في بدء خلقهم متساوين (٤) لغرض واحد فلاشقي بينهم ولا سعيدا ثم اخرجهم في الحياة الدنيا لعبادته كالأية « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » فحضر الغرض من الخلقة في العبادة وحدها يدل على تساوي أصل الناس في بدء النشأة

ثانيا : قال تعالى : « كان الناس امة واحدة » وهذا يدل صريحا على ان الناس كانوا كواحد في بدء الخلقة لامتياز بين انسان وآخر ولا وجود لشقي بينهم ولا سعيد ثالثا : قال تعالى : « وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ... » فهذه الآية تدل على ان ذرية بني آدم بلا استثناء وهم في ظهور آبائهم كانوا مطبوعين على تأليه الخالق وتوحيده بلا شرك فيدخل في ذلك بالطبع ذرية اليهودي والمجوسي والبوذي والبرهمي والمسيحي والمسلم والمادي والدهري والكافر والمؤمن مما ثبت توحيد الناس ومساواتهم في بدء الخلقة وقد ولدوا من بطون أمهاتهم بالبداية على هذه الطهارة فكيف تقولون انه بدأهم قسمين ويعيدهم عليها !

رابعا : قال النبي عليه الصلاة والسلام : « كل مولود يولد على الفطرة » والولادة على الفطرة كما لا يخفى عليكم هي الولادة على الأصل الطاهر الخالي من نزغات الشرك وخلافه فلا يوجد إذا في بدء الخلقة تقسيم

( ١٦ - سير الناس على نظام ذو (٤) وجهين ) لعلكم تتسألون بعد ذلك وتقولون إذا سلمنا بان الناس متساوون في بدأ الخلقة لا شقيا ولا سعيدا فكيف ينقسمون في الآخرة اليها .. وكيف يتفق علم الله الأزلي الثابت على ذلك في الحياتين ؟

فأقول لكم إن الله تعالى أخرج الناس إلى الحياة الدنيا على الفطرة طاهرين وجعل لهم بارادته نظاما يسرون عليه بعد ان منحهم الاستقلال الذاتي والحرية غير ان هذا النظام ذو وجهين متضادين كما قال تعالى « وهديناه النجدين » أي الطريقين المتضادين : طريق الخير وطريق الشر في آن واحد ولما كانت الطبيعة الانسانية مترتبة بكيفية تلائم الطريقين المذكورين غير انها لا يمكنها ان تسير الا في طريق واحد فقط منها ولو بالتناوب مرة هنا ومرة هناك تبعا لحرية



الانسان واستقلاله كالأية « إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً » فكان ذلك داعياً لاقسامهم أنفسهم مع ان الله تعالى لم يقسمهم من قبل ذلك . . فتجد واحدا يسير في طريق الخير دفعة واحدة وآخر في طريق الشر دفعة واحدة وثالث (؟) ينتقل بين طريق الخير والشر مع العلم انهم جميعا في امكانهم أن يسيروا من طريق واحد دون ان يروا الثاني ولا يعلمون به فتقسيمهم في الاصل غير موجود بالمرّة ولكن النظام الموضوع امام حريتهم هو المقسوم فقط و الفرق بين قسمة النظام وقسمة النفوس التي تسير بحريتها على أي شكل كان مما في هذا النظام المعلوم لله من قبل خلق الناس أجمعين

( ١٧ — علم الله الأزلي وسير الناس في الطريق ) ربما يقولون مما ذكرته آتفا انه مادام الناس غير منقسمين من قبل سيرهم في احد الطريقين . وانهم يمكنهم جميعا ان يسيروا في طريق واحد من غير ان يروا الثاني ان علم الله تعالى الأزلي فيما يختص بسيرهم هذا غير ثابت من جهة الواقع منهم ونفس الامر وانه تعالى لا يعلم من هؤلاء الناس سيكون في الطريق الايمن أو من منهم سيكون في الطريق الايسر ، وجوابي على ذلك : ان كل ما يحدث مهما كان من عمل الانسان الحر كان معلوما لله ازلا قبل وقوعه فعلا بصفة عامة لا تخصيص فيها لزيد من الناس وانه تعالى خلق الناس ليسيروا في أحد طريقين متضادين أو في كل منهما على التناوب « فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر » مع كونه يراقبهم بنفسه كل المراقبة « أفن هو قائم على كل نفس بما كسبت » فالمراقبة هي أساس العلم بالتخصيص بأحد الطريقين أو المختار منهما في أي وقت بواسطة أي انسان بتام حريته . ومن هذه المراقبة يعلم الله تعالى في أول وهلة ماخصص كل فرد لنفسه من أحدهما . مع كونها وكل ما فيها من أنواع الاعمال المختلفة معلومين لله تعالى من الازل كما مر . وكل هذا بالبداية لا يزيد علم الله تعالى شيئا ولا ينقصه شيئا وغاية ما في الامر ان الله تعالى خلق الناس في الاصل طاهرين وأخرجهم في هذه الحياة الدنيا لفرض هو : ليعلم منهم من يسير في الطريق الايمن بحريته ومن منهم يسير في الطريق الايسر ولذا كانت المراقبة لازمة كالأية « ان الله كان عليكم رقيبا » . ويؤيد ذلك ما يأتي

أولاً : ماذا كره الله تعالى في الكتاب العزيز من أمر الفتنة أو الامتحان لا اختبار كل من يؤمن به تعالى حتى يعلم منه اما الثبات نهائياً على الايمان أو الزعزعة عنه عند الامتحان أو الفتنة المذكورة كالأية : «أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون» ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين » فالله تعالى بصرح في القرآن بنفسه بانه تعالى لا يعلم الصادق من الكاذب في الايمان الا بعد ان يفتنه ويجرب به ويمتحنه ليعلم منه قوة الخيار للايمان والثبات عليه أو الزعزعة عنه بمطلق حريته الممنوحة له منه . أما قولكم ان ذلك علم انكشاف فهو مردود لانه لا يوجد لله علم مكشوف لان المعلوم والموجود في علم الله سواء .

ثانياً : قال تعالى عن الشيطان : « وما كان له عليهم من سلطان الا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها ووربك على كل شيء حفيظ » أي انه تعالى لم يجعل للشيطان على الانسان سلطة مما ليعبور (؟) إرادته الحرة الخصوصية من الايمان الى الكفر بل هي وسوسة ضعيفة « ان كيد الشيطان كان ضعيفا » أمرها بسيط ولا تأثير منها ويمكن لكل انسان بحريته ان يتجنبها بما خلق الله تعالى فيه من عقل وجعل له من الهام - والله تعالى لم يمنع الشيطان عن تلك الوسوسة للانسان الا ليجعلها في ضمن الفتنة أو اللزوم المقرر في نظام الله ليعلم منها من يؤمن بالآخرة ممن هو في شك منها وان هذا العلم لا يكون الا بالمراقبة المذكورة . اذ بغير ذلك لا يكون معنى للمراقبة التي مدلوها التأمل لا انتظار وقوع فعل من شخص معلوم في احد (؟) جهتين متضادتين

ثالثاً : قال تعالى « وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع إيمانكم ان الله بالناس لرؤوف رحيم » فهو تعالى بصرح هنا انه لا يعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه منهم قبل الفتنة بالانقلاب عن القبلة ببیت المقدس الى الكعبة الا بعد حصولها . وهنا لا يتوهم القارئ ان الله تعالى كان يجهل شيئاً أو يعزب شيء عن علمه . كلا بل هو بكل شيء عليم لان الله تعالى كان يعلم أن ما خلقهم عليه من نفس كاملة وعقل يمكنهم بهما ان يتبعوا الرسول صلى الله عليه وسلم بمطلق حريتهم التي منحها لهم بلا أي مانع ، هذا من جهة ومن جهة أخرى بحسب الوضع الذي شكل

به الخلقه الانسانية كان يعلم عنهم في آن واحد انهم يمكنهم جميعا ان لا يتبعوه (ص) بمطلق حريتهم وفي الوقت نفسه كان يعلم بالنتيجة التي سيجازيهم بها وتصيهم في الحياة الدنيا والآخرة ان لم يتبعوه . ويعلم من قبل ايضا بالنتيجة التي سيجازيهم بها في الحياتين ان لم يتبعوه . غير ان هذا العلم المطلوب ليس انكشاف الفعل الواقع المطابق وحده للعلم السابق دون غيره كما يقول المنار . كلاً بل هو علم تنقل ارادة كل منهم الى اي جهة يرغب السير بحريته في احد الطريقين المتضادين المعلومين لله من قبل وهما مفتوحان معا في كل وقت أمام كل انسان حتى يمده الله بعد ذلك بجزاء ما اراد . وهذا العلم بالطبع لا يكون الا بالمراقبة كالآية « افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت » رابعا : ان خلق الناس متساويين (؟) في بدأ الخلقه وخروجهم الى الدنيا للتنافس في عبادة الخالق بحريتهم هو كل الحق الذي كان الغرض منه وجود العالم كالآية : « وما خلقنا السموات والارض وما بينهما باطلا » وكالآية : « اولم تفكروا في انفسهم ما خلق الله السموات والارض الا بالحق » . . . فهل يعرف المنار ما هو هذا الحق ؟ هذا الحق هو منح المخلوقات ومنها الانسان « الحرية » الكاملة في عبادة الله والسير في أحد الطريقين المتضادين متحملا نتائج احدهما او كل منهما بالتناوب على عاقته بما وهبه الله من عقل وشعور والهام مع تمام الاستقلال في الارادة « وما تكسب كل نفس الا عليها »

فاذا كان الناس مقسومين كما قلتم من الاصل وفي الدنيا وانهم سيعودون على هذا التقسيم نفسه في الآخرة . . . فان الحياة الدنيا والخلق في الاصل والمبدأ يصيران بذلك عملا من الله باطلا كل البطلان لا علة ولا حكمة منه اصلا . . . بل يكون اشبه بتسخير القادر للعاجز ورحمة اناس وتعذيب آخرين بالاستبداد والقوة دون غيرها مع ان الكل « انسان » ومن نفس واحدة يشعر الواحد ويحس كما يشعر الآخر وهذا لم يعمل ولن يعمل الرحمن الرحيم . ولا يشير اليه في كتابه الكريم وانما يشير الى ان الكل مكرمون « ولقد كرّمنا بني آدم » ومخاطبون بالآية « ان اكرمكم عند الله اتقاكم » فلا قسمة في اصل الخلقه ولا تقسيم الا في الآخرة فانها ستكون طبقا لا كتنسبته بحريتنا من احد النجدين المتضادين « وهديناه النجدين » لا طبقا



للمقسوم المحتوم « اليوم تجزى كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم ان الله سريع الحساب »

خامسا : قال تعالى في بعض الآيات « ولما يعلم الله الذين آمنوا » فهذا العلم بالايان يدل على وقوعه في المستقبل دون الماضي . فهو لا يؤيد على الله الجهل او انه علم انكشاف للواقع دون غيره . كلا بل يدل على تنفيذ ما اراد الخالق ان يكون من نظام وضعه للانسان بصفته مخلوقا سيفعل الخير أو الشر في آن واحد . والمطلوب علمه هو تقييد ما يختاره الانسان على نفسه من كل المعلوم لله اذ لا من كلا الطريقين . فاذا فعل انسان خيرا من بدء حياته الى مماته ووقع ذلك فعلا فقد كان هذا الواقع معلوما لله اذ لا بصفته معلوما لا بصفته واقعا لا محالة . ولكن بجانبه ايضا ان الله يعلم للشخص نفسه انه سيفعل الشر على نوع ما من بدء حياته الى مماته بصفته معلوما لا بصفته واقعا غير ان هذا الانسان اختار بحريته الاول وترك بحريته الثاني فصار هذا الاخير من المعلوم لله غيا لا يظهره للشخص ولا لاحد في العالم « عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا »

وبهذا وبغيره يثبت لكم ان الله تعالى لم يخص من الازل اناسا للايمان معلومين من قبل وجودهم وسينكشفون بالواقع . كلا بل كل موجود في الحياة امامه طريقان متضادان تحت حريته يراقبه الله تعالى حتى يعلم منه في اي جهة عزم بنفسه الثبات عليها فكان تعلق العلم الالهي عن كل انسان دائما هو من جهتين متضادتين في آن واحد لا من جهة الواقع وحده كما قلتم ولما كان الانسان لا يمكنه الجمع بينهما في وقت واحد فعلم الله تعالى المطلوب هو تخصيص أحدهما للانسان بارادته وحريته الذاتية . . . . إذ ان هذا هو الغرض الوحيد من الخلقة

( ١٨ - تعلق العلم الالهي - علم الله بالواقع و بضده في وقت واحد ) قلتم في صحيفة ( ٥٤١ ج ٧ م ١٢ ) انه متى وقع الشيء علمنا ان علم الله تعالى كان متعلقا بوقوعه لأن علمه تعالى يكون دائما مطابقا للواقع والا كان جهلا . . . وذلك محال »

( المجلد الثاني عشر )

( ٩٧ )

( المنار ج ١٠ )

أما أنا فأقول لكم ان علم الله تعالى يتعلق بوقوع الاشياء قبل حصولها في أحوال مخصوصة يريد الله تعالى بحق كالأية : « انما أمرنا لشيء إذا أردناه ان نقول له كن فيكون » ومثال ذلك وجود العالم قبل ان يوجد . . . ولكن بالنسبة للنظام الذي خلق الانسان عليه وأراد ان يسير بمقتضاه في هذه الحياة بصفة عامة فلا تعلق لوقوع الافعال الانسانية من قبل وقوعها غير أنها معلومة بشكلها التي وقعت عليه ان وقعت مثل ضدها تماما بالنسبة لمن وقعت منهم بالذات وان كان الضد الذي لم يقع صار في حيز العدم ولكنه ما زال معلوما لله تعالى في الغيب الذي لا ندركه ولا يريد الله ان ندركه لأن هذا التعلق الذي تقصده منه تهيئته ما وقع فعلاهما كان من أي عمل إنساني انه كان في العلم الالهي واقعا لا محالة قبل وقوعه دون غيره . . . وهذا هو الخطأ المحض بل هذا هو الخلاف الذي بيني وبينكم في الغالب ومنه أيتم عدم فهمكم لكثير مما ذكرت آنفا ( وسأشرح فيما بعد ان هذه النقطة نفسها هي التي فرقت الامة الاسلامية احزابا وكانت أصلا لسقوط الامة الاسلامية في أيامها المتأخرة المظلمة ) إذ الحقيقة هي :

أولا إن الواقع كان معلوما لله تعالى مثل كثير من أنواعه واضداده بالنسبة لمن وقع منه الشيء نفسه في وقت واحد وغاية ما في الامر ان الواقع تخصص لفاعل الشيء من ضمن أنواع كثيرة كانت مفتوحة امام حريته لتنفيذ واحد منها في وقت واحد وان هذا التخصص هو الذي كان يراقبه الخالق ليعلمه ( راجع ١٧ علم الله الازلي وسير الناس في الطريقين ) لانه تعالى أراد ان يكون هكذا النظام الانساني في العالم كما قال تعالى « وتلك الايام نداؤها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء » فاذا كان علم الله تعالى معلوما من الازل بمن يؤمن انه سيؤمن في وقت كذا قبل وقوعه ومن يكفر انه سيكفر في وقت كذا فما الداعي لقوله تعالى : « وليعلم الله الذين آمنوا » ؟ وأيضا — لماذا يتخذ منا شهداء أي شاهدين على من كفر به بحريته للمحاكمة في الآخرة ؟ . اللهم الا لان الناس كلهم في نظر الله سواء . وانه تعالى فتح امام كل انسان طريقين متضادين فلا يعلم الله

تعالى أنه آمن إلا في حال إيمانه ولا يعلم الله تعالى أنه كفر إلا في حال كفره . وان حكم الواقع عند الله في العلم هو حكم المعلوم سواء بلا فرق وان كان ذلك يمجز عنه عقل الانسان « ليس كمثل شي »

ثانيا : عثرت في الكتبخانة الخديوية على رسالة في التوحيد بخط نسخ للامام أبي حنيفة رضي الله عنه ( مجموعة نمرة ١٢٧ ن ع ٢٣٧٢ ) يقول فيها ما يأتي : « لم يجبر الله تعالى أحداً على الكفر ولا على الإيمان ولا خلقهم مؤمناً ولا كافراً ولكن خلقهم أشخاصاً والإيمان والكفر فعل العباد . يعلم الله تعالى من يكفر في حال كفره كافراً . فاذا آمن بعد ذلك علمه مؤمناً في حال إيمانه وأحبه من غير ان يتغير علمه وصفته وجميع أفعال العباد من الحركة والسكون كسبهم على الحقيقة اه » فافتكر ان مدلول ذلك وان كان مجملاً ولم اطلع على تفصيل له في كتاب آخر فهو يطابق في الغالب لتلك المبادئ التي أذكرها الآن وأؤيدها .

ثالثا : ما يدلكم على ان علم الله تعالى بالنسبة للعمل الانساني لا يتعلق بالواقع وحده ، بل يعلم به وبضده في آن واحد بلا فرق - مخاطبة الله تعالى للكافرين يوم القيامة أو ذكر أحوالهم التي سيقولونها بأنفسهم بعد ان يبصروا كل شيء على حقيقته كالآية : « ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين » - فهذا يدل على ان الحال الذي كانوا فيه في الدنيا وقد كفروا بالله كان ممكناً لهم أن يؤمنوا فيه بدل الكفر بلا أي مانع حتي يكون الكفر بعيداً عنهم في العدم كما صار الإيمان الذي يتمنوا (؟) ان لوردوا الى الحياة لا اعتنوه (؟) ، ولا يخفى ان ذكر الله تعالى لمثل هذه الامثال لم يكن عبثاً ، بل لغرض ان نعلم ان علمه تعالى لم يكن معاقماً بالكفر الذي كفروه فعلاً ويعذبون لاجله في الآخرة ، لان معنى التعاقب يدل على ارادته الذاتية في لزوم الكفر منهم ولو باختيارهم الذي تفرضونه مع وجود هذا التعاقب ، مع ان الله تعالى يتبرأ من ذلك « ولا يرضى لعباده الكفر » ، وانما كان يعلم عنهم الإيمان كما يعلم عنهم الكفر في آن واحد بكيفيتها المتضادة ثم استمر الله تعالى في مراقبته لهم حتى ظلم منهم انهم اختاروا الكفر بحريتهم



بدل الإيمان نهائيا فجازاهم بالنار حقا والرد الى الحياة الدنيا من الآخرة مستحيل لان هذه الحياة الدنيا حق أيضا وان ما فعلوه فيها صار حقا حتى طبعوا أنفسهم عليه بحريتهم لا من أصل خلقتهم الاولى كما ان النار في الآخرة هي الجزاء الوحيد ، « وما ربك بظلام للعبيد »

رابعا : ما هو أظهر من الآية السالفة قوله تعالى : « فهل لنا من شفاء فيشفوا لنا أو نرد فنعمل غير الذي كنا نعمل » فإن العمل الذي عملوه من الكفر والفساد صار واقعا في الدنيا حتى عذبهم الله عنه في الآخرة وان هذا الواقع نفسه علموا عنه في الآخرة « فكشفنا عنك غطاك فبصرك اليوم حديد » انهم كانوا قادرين على عمل غيره أو ضده في الوقت الذي عملوه فيه حتى كان يمكنهم ان يجهلوا الذي عملوه في العدم والضد مفعولا . وكل ذلك يؤخذ منه ان علم الله تعالى لم يكن مطلقا بما فعلوه وحده بل كان يعلمه تعالى كما يعلم بضده عنهم في آن واحد وبمراقبة الله تعالى لهم علم ما اختاروه بتمام حريتهم من الكفر فكان لهم الجزاء حقا بتمذيبهم في النار « وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون »

ولو أردنا ان نحصر كل الآيات القرآنية التي تدل على ما ذكرناه لآخذنا وقتا طويلا غير اني أذكر من أشهر هذه الآيات قوله تعالى : « ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين » ومنها : « وانفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتي الى أجل قريب قاصدق وأكن من الصالحين » ومن ذلك أيضا قوله تعالى : « يقول ياليتني قدمت لحياتي » ومنها قوله تعالى : « قال رب ارجعون لعلي أعمل صالحا فإني تركت » ومنها أيضا : « ربنا اخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون » ومن ذلك أيضا : « ربنا أخرنا الى أجل قريب نجيب دعوتك وتبع الرسول » الخ الخ

( ١٩ - مثالان عن علم الله الازلي وعمل الانسان ) أخشى ان تقولوا ان ما ذكرته معسلا ( ؟ ) يصعب فهمه فاحتياطا لزيادة الايضاح أذكر لكم مثالين :  
الاول : افترض يا صاحب المنار أنك أصبحت غنيا ومالكك الحل « ستين »

الشهير الموجود بالموسكي بمصر وهذا المحل كان فيه من أنواع البضاعة ما يبلغ عدده المليون من الاصناف ثم وضعت هذه البضاعة في دواليب بترتيب منظم وكل صنف عليه نمرة مكتوبة . فالبضاعة المكتوب عليها نمر فردية من ١ و ٣ و ٥ الخ الى المليون مكتوب عليها أيضا انها بضاعة جيدة والمكتوب عليها نمر زوجية من ٢ و ٤ و ٦ الخ بضاعة رديئة . ثم أحضرت أربعة رجال من رجال ادارة المنار وقلت لأولهم ان لك في هذا المحل عشر نمر من ١ الى ١٠ والى الثاني من ١١ الى ٢٠ والى الثالث من ٢١ الى ٣٠ والى الرابع من ٣١ الى ٤٠ ثم دخل الاربعة رجال في المحل متستعين بحريتهم وأخذ كل منهم نمرة المقررة له منكم من قبل . فبكذا يقولون أتم عن علم الله الازلي بأزاء عمل الانسان في الدنيا حال وقوعه . فانكم قبل ان يأخذ الاول نمرة من ١ الى ١٠ كنتم تعلمون بذلك ولما أخذها صار الواقع منه مطابقا لما كنتم تعلمون من قبل - وحاشا ان يكون فعل الله مشابها لذلك

الثاني : قلب هذا المثال بشكل آخر مع ثبوت النمر التي تعلمها من أولها الى آخرها وثبوت الرجال أنفسهم وافرض انك أعلنت هؤلاء الاربعة بأن لكل منهم عشر نمر في كل النمر الموجودة بالمحل من غير ان تخصص لهم نمرا محددة كما فعلت في المثال الاول بل اشترطت أن لكل منهم ان يقلب في المليون نمرة الموجودة ويأخذ عشرةا منها كلها . فهل يمكنك بعد ان أدخلتهم في هذا المحل على هذا الشرط ان تخبرني إن كنت تعلم ما هي العشر نمر التي سيأخذها الاول أو الثاني أو الثالث أو الرابع قبل ان يضع يده بالفعل على واحدة منها . الجواب : لا تعلم ذلك الا بعد ان يضم كل منهم يده على كل منها ؟ . ولكن هل ذلك غير شيا في النمر المعلومة لك كلها أو غير الرجال أو اقصى شيئا من معلوماتك بخصوصها ؟

الجواب كلا . فبكذا اقول عن الخالق سبحانه انه اخرجنا في هذه الحياة على مثل هذا الفرض وفتح للجميع طريقين متضادين فيهما من انواع الافعال ما يعجز عنه الحصر والكل يعرفها ويميزها العقل الانساني وكان هذا سر قوله تعالى : « وعلم آدم الاسماء كلها » ثم خاطب الجميع بقوله : « هو الذي خلق لكم ما في الارض

جميعاً « فلا عين شقيا ولا قيد سعيدا وهو تعالى لذلك لا يعلم المؤمن الا في حال إيمانه ولا الكافر الا في حال كفره والكل امام الوهية في الاصل « انسان » وهنا لا يقال ان الله تعالى جهل شيئا لان العلم المطلوب لله هو تخصيص المعلوم ازلا لمن يختاره عوضا عن تعميمه الذي كان عليه قبل هذا الاختيار وكان ذلك بناء عن ارادة الله الذاتية في وضع الانسان على هذا النظام من الازل - وكل ذلك بالبداية للمتأمل المدقق لا يزيد علم الله شيئا ولم ينقصه ما دام الله تعالى قائما بالمراقبة ولذا كان الله من الازل الى الابد بكل شيء عليم (٤)

(٢٠ - ادوار انطلاقة الانسانية أمام العلم الالهي ) ينقسم الانسان الى ثلاثة ادوار امام العلم الالهي : الدور الاول ويتبدأ من بدء الكون الى وقت الولادة . وفيه جميع الناس سواء فلا شقي ولا سعيد

الدور الثاني : الحياة الدنيا وفيها كل انسان بين السعادة والشقاء فلا شقي ولا سعيدا الا عند الوفاة . والدور الثالث الاخرة وفيها الناس فريقان : « فريق في الجنة وفريق في السعير »

فاذا فرضنا ان الآخرة تجسدت امامنا ونظرنا بالعين اشخاص كل فريق ووجدنا الشخص (ج) من فريق الجنة والشخص (س) من فريق السعير . فاقول ان كلامهما صار كذلك طبقا لما سير نفسه فيه بحريته في الحياة الدنيا وليس لكونه كان مكتوبا من الازل شقيا او سعيدا فلا يوجد في علم الله الازلي ان (ج) هذا سيكون بالذات والواقع سعيدا ليس الا ولا ان (س) هذا سيكون شقيا ليس الا وان العلم الازلي هو ان كلام (ج) و (س) شخص طاهر مكرم لا شقاء له ولا سعادة الا بعد ان يولد في الحياة الدنيا سيسير فيها بحريته على نظام ذو (٤) وجهين متضادين فيهما السعادة والشقاء يراقبه الله تعالى عند اختيار واحد منهما فيعلم له تعالى وقتها من فعل (ج) انه سيكون في الآخرة سعيدا ومن فعل (س) بحريته انه سيكون في الآخرة شقيا وان الطريق الذي سار فيه (ج) في الدنيا وبه صار سعيدا في الآخرة كان مفتوحا في الوقت نفسه امام (س) أيضا وانه كان يمكنه ان يسير مع (ج) فيه جنبا الى جنب وان



يجتمع في الآخرة في الجنة . وبالعكس فإن الطريق الذي سار فيه (س) في الدنيا بحريته وبه صار في الآخرة في السعير كان مفتوحا أيضا في الوقت نفسه امام (ج) في الدنيا وإن الأخير كان يمكنه السير فيه مثل (س) وإن يكون معه جنبا إلى جنب حتى يجتمعا (؟) معا في السعير وكل ذلك لا يغير شيئا من علم الآله الأزلي

(٢١- الله أول ملك دستوري في العالم) . قال تعالى في الكتاب العزيز: «قل أعوذ برب الناس ملك الناس آله الناس» فصرح تعالى في هذه الآية أنه ملك الناس وأهلهم . وهنا أسأل صاحب المنار ما هي نوع الحكومة التي يحكم الله تعالى بها النوع الإنساني بصفته ملكا عليهم كما صرح في هذه الآية الكريمة ؟ . فإذا كانت نوع الحكومة الإلهية مجهولة لصاحب المنار فاني أقول له إنها هي الحكومة التي تمسقتها وتتلّف على وجودها الآن جميع الأمم ويسفكون لأجلها دماءهم وأموالهم للحصول عليها إلا وهي «الحكومة الدستورية» فإن الله تعالى يحكمنا بالدستور الأزلي لا بغيره وهو جل شأنه مع مطلق قدرته وأوسم علمه لم يشأ أن يحكم الناس الأحكام الدستورية عادلا لتعلم من ذلك وبما هو مسطور في القرآن الحكيم عن هذا الحكم ما يجعله أساسا في أعمالنا وأحكامنا الدنيوية حتى يقام العدل ونجى الأمم على أساس رصين وكفى الإنسان شرفا أن يكون هو الوحيد خليفة الله في الأرض ليعمل في حكمه كمثل الله كالأية «إني جاعل في الأرض خليفة»

ولما كان الله تعالى هو الخالق لكل شيء والعالم بكل شيء علماتا ما كان هو وحده الذي أسس هذا الدستور دون غيره وهو الذي يرتاح لمداته كل مخلوق في الأرض والسماء ارتياحا تاما لأنه صدر هذا القانون بالرحمة وفيه «كتب على نفسه الرحمة» وكان الأساس الثاني لهذا الدستور هو منح المخلوقات «الحرية» الكاملة بعد وجودها في الدنيا لتعمل بها كل ما في وسعها «لا يكلف الله نفسا إلا وسعها» وأنه تعالى لا يمس هذه الحرية في هذه الحياة مهما فعلت تلك المخلوقات من صالح أو إساءة إلا أن يمدّها بجزاء ما تفعل بالرغم عنها جزاء عادلا ليس إلا طبقا لما في القانون المذكور الموافق لتقلب الطبيعة الإنسانية «وما تجزون إلا ما كنتم تعملون» وبمقتضاء

صار « من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها » ولهذا تنزه عن الحكم الاستبدادي المجهول نظامه وتحلى بالكمال المطلق والعدل والرحمة لان كل ما يحدث في الارض والسماء كتب في هذا القانون « ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ( اي نخلقها ) ان ذلك على الله يسير » وبه يصينا في الحياة الدنيا والآخرة مجزاء الخير أو الشر طبقا لأعمالنا وما يناسبها من بنوده العادلة

فان فرضنا مثلا ان المادة ٣٥ من قانون ما في حكومة السودان ان من يسرق كذا بالطريقة كذا فانه يجازى بكذا وبكذا . فطبعا هذه المادة تسري على جميع الناس الذين يشملهم هذا القانون بلا استثناء وما على الحكومة الا ان تراعيهم وتراقبهم حتى اذا وقع واحد منهم ارتكبا ذنبا تنطبق عليه هاته المادة تجازى (؟) بما فيها تماما . وهكذا نقول عن النظام الذي كتبه الخالق على الناس بصفته ملكا دستوريا عادلا عليهم فقد كتب قانونا لمجازاتهم بالخير أو الشر في الحياتين تبعاً لارتكابهم خطأ أو عملهم خيرا طبقا لبنوده العامة العادلة ولذا كان رقيبا على كل نفس لتنفيذه « ان الله كان عليكم رقيبا »

( ٢٢ — الفرق بين فهمي وفهم صاحب المنار في القسمة ) صاحب المنار يفهم من المثال الاخير السالف عن المادة ٣٥ من قانون الحكومة ان الشخص ( ج ) مثلا اذا ارتكب جناية السرقة بكيفية تنطبق عليها قال : ان الحكومة السودانية عند ماسنت قانونها كتبت فيه هذا الشخص وانه سيسرق في وقت كذا . وسيجازى بكذا قبل ان يحصل منه ذلك وقبل ان يقبض عليه بسنتين عديدة : ولما وقعت منه السرقة قال ان ما حصل فعلا منه كان مطابقا لعلم الحكومة لان الواقع دائما يكون مطابقا للعلم . وبمثل ذلك القسمة وعلم الله اما أنا فأقول يا صاحب المنار ان علم الحكومة ليس كما تزعم ان علم الله تعالى وان كان يحيط بكل شيء ولكن ليس كما تتوهم لان الحقيقة هي غير ذلك . لان الحكومة كتبت في قانونها ما يناسب أخلاق كل الناس وأعمالها من غير ان تخصص عملا للشخص معلوم . وانها لا تعلم ان هذا السارق بالذات سيسرق

في هذا اليوم ولا تعلم انه سيأخذ هذا الجزء . لان ذلك ليس هو القانون المعلوم عند الحكومة . بل قانون الحكومة عام على الجميع وان أخلاق الناس تتقلب بين الخبيث والطيب بحريتها . وان القانون مذكور فيه كيفية السرقة وأنواعها التي يمكن ان تحصل منه كما تحصل من خلافه . وأمام ذلك الجزء على كل نوع منها وليس على الحكومة الا مراقبة الرعية لتنفيذ ما هو معلوم لها من قبل في بنود هذا القانون فاذا كان الشخص (ج) ارتكب جناية السرقة وكانت تنطبق على المادة ٣٥ تجازي (٩) بمنطوقها ايضا وبالعكس اذا عمل عملا صالحا ذكرته الحكومة في القانون ايضا وكانت له مكافئة كافأته بها . وبديهي للمطلع ان الفرق بين القصدين كالفرق بين السماء والارض أو هو كالفرق بين حكومة الدستور وحكومة الاستبداد . ولكن صاحب المنار يقول في (صحيفة ٥٤٣) «لست قادرا على تصور فهمه للمسألة ولا فهم وجه الاشكال التي كانت به اقل ادواء المسلمين عنده فاحل له ما أحكم من العقد في خياله » فاذا كان صاحب المنار الآن لم يفهم وجه الاشكال فليتصور الان الفرق بين المقاتلين السالفين وليعلم مما ذكرناه وما سنذكره على هذا الاشكال على وجه الحق : فان الحق والباطل لا يجتمعان « ان الباطل كان زهوقا »

( ٢٣ - لاقسمه معينة لشخص معين في الازل ) يقول صاحب المنار صحيفة ٥٤٥ : أما علم الله تعالى فهو قديم بقدمه ازلي بأزليته - فالقسمه فيه أزلية أيضا وأقول : أما علم الله تعالى بكل ما كان وما سيكون فأمر بديهي مسلم به ولكن قسمه الاشخاص من أن هذا الشخص بالذات شقي في العلم الازلي وذاك بالذات سعيد أزلا أمر لم يفعله الخالق ويتبرأ منه القرآن . نعم نظام الشقاء الانساني أو السعادة الانسانية معلوم لله تعالى أزلا ولكن هذا النظام سينفذ على بني الانسان الذين أراد لهم الخالق أزلا ان يكونوا خلفاءه في الارض بلا فرق بين انسان وآخر فيطبق الله هذا النظام العام على أعمالهم الحرة المعلومة له من قبل ان يكونوا بصفة عامة فبعضهم سيكون بهذا النظام شقيا تبعا لحرية والبعض سيكون به سعيدا بحريته أيضا طبقا لبنوده المكتوبة قبل العالمين « وما ربك بظلام للعبيد »



قال تعالى: «يأيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى ان يعلم الله في قلوبكم خيرا يؤثركم خيرا مما أخذ منكم وبغفر لكم» فهذه الآية الكريمة تؤيد ان خبر الله تعالى المطلوب أعطاه لهؤلاء الأسرى متوقف على تغيير ما في قلوبهم وان المعلوم لله تعالى وقت نزول هذه الآية من قلوبهم هو عدم الخير أو ضعف الإيمان به أو الكفر فاذا غبروه بجهنم التي لا يمسا الخالق في هذه الحياة الى خير أو إيمان أصابهم الله تعالى بعد ذلك بخير احسن مما اخذ منهم وقت الحرب من مال أو أبناء. وان علم الله تعالى بخير قلوبهم هذا متوقف على ارادتهم الحرة لانه هكذا أراد الله تعالى ان يكونوا بتام الاستقلال في ارادتهم ليغيروا ما في قلوبهم كالأية «ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم» وهذا دليل كاف على ان الله تعالى ينفذ جزاء ما وقسمته طبقا لارادتنا الحرة في اختيار نوع من الاعمال. وليس طبقا لكونها هي والافعال كانت مقسومة في الازل بالذات حتى يكون الواقع مطابقا للعلم دون غيره. كلا. بل الواقع وضد الواقع في العلم عند الله سواء. ولذا قال تعالى «وان عدتم عدنا» فان قول الله تعالى للكافرين «وان عدتم» دليل على عدم الممانعة لهم من الله في الاعداء لفعل ما كانوا عليه من الفساد والكفر ثم قوله تعالى: «عدنا» أي عدنا بعد ذلك بالانتقام بما لا استفعوا (١) ان وقع منكم في نظير كفركم كما انتم بمثل ذلك قبلا فاذا كانت لهم قسمة من الازل معلومة ما كان هذا التعميم الين الذي يدل كما قلنا على عدم كتابة شيء مخصوص أو منح قسمة مخصوصة لاحد من الناس في الازل وبمثل ذلك قوله تعالى: «وان تعودوا نعد» وهذا يشبه بلا تمثيل الى ان شخصا من أفراد الحكومة ارتكب جريمة تناسب مادة (٩٥) مثالا من قانون العقوبات فكما يرتكب جريمة تناسب هذه المادة عاقبته الحكومة بمضمونها فاذا عاد وارتكب نفس الجريمة اعادت معاملته بالمادة نفسها وهكذا تقول الله تعالى: «وان تعودوا نعد» أي ان تعودوا لنفطكم الذي به تجازيتم (٢) بمقتضى القانون الإلهي. نعد لمثل هذا الجزاء عليكم (٣) بالثاني. فأنتم أحرار فيما تفعلون. فبذلك وبغيره قلنا «ان الله تعالى أول ملك دستوري في العالم» لشحن القرآن الحكيم من أمثال هذه الآيات الواضحة كالأية: «فمن

أظلم ممن اقترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب «  
أي ان كل من يكذب على الله من بني الانسان يناله الجزاء المناسب لكذبه مما في  
الكتاب الذي هو قانون الله العادل ، وبالطبع يختلف الجزاء باختلاف درجة  
الكذب أو التكذيب وكل ذلك يدل على عدم قسمة النفوس في العلم الاولي بل  
النظام هو المقسوم والله بكل شيء عليم كاتبه

أحمد بدوي النقاش

ضابط بالجيش المصري بالسكة الحديد السودانية

\*\*\*

### ﴿ جواب المنار ﴾

الآن قد جاء هذا الكاتب الفلسفي بما لم يأت به من قبل ولا يفهم  
من سؤاله عن القضاء والقدر ولا من رسالته في إنكار عقيدة قسمة الخلق الى  
سعداء وأشقياء وهذا الشيء الجديد هو اعتقاده ان الله تعالى لا يعلم ما يكون من  
أعمال عباده الا بعد وقوعها ، فلا أدري أكان على هذا الاعتقاد من قبل وكان  
هو الذي يريد من كلامه السابق فقصرت عبارته عن بيانه أم حمله الحرص على  
الآتيان بشيء جديد في الدين على هذا المركب الصعب بعد ان سدونا في وجهه  
باب الاعتراض على عقيدة القدر وعقيدة القسمة ؟

لا أناقشه في كل ما اخطأ به في هذه الرسالة لثلاث تشعب الكلام ويطول بل  
أخص الكلام في مسألة العلم الإلهي بعد أن أبين له بالايجاز فقررة لم يفهم مرادي  
منها وبنى على فهمه خلافا طفق يحتاج لرأيه فيه بالآيات وغير الآيات. تلك الفقررة  
هي التي تكلم عنها في المسألة ١٥ وهي قولنا « وأنه بدأهم على هذا ويعيدهم عليه »  
ففهم من هذا انني أعني بهذا انه تعالى خلق كل فرد من أفراد البشر إما شقيا غير  
مستعد في فطرته لعمل الخير الذي يكون به سعيدا وإما سعيدا مطبوعا على الخير في  
أصل فطرته لا يستطيع غيره هذا رأي يمكن لمن يقول به ان يستدل عليه بالمشاهدة

## ٧٨٠ المبدأ والمعاد . تعلق العلم الإلهي بالمعلومات ( الملتار ج ١٠ م ١٢ )

وبعض النصوص كما يمكن لمعارضه ان يستدل ولكنه لم يكن هو الذي عنيت به تلك العقرة بل عنيت بها حال جميع البشر ( لا كل فرد منهم ) في الحياة الدنيا من أولها الى آخرها وحالم في الحياة الآخرة وهما الخالان اللتان يعبر عنها علمائنا بالمبدأ والمعاد . وقد قال تعالى ( ٧ : ٣٠ ) كما بدأكم تعودون فريقيا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة ) فهذا ما أعنيه وهو مشاهد في أمر الدنيا وأمر الآخرة مرتب على أمر الدنيا فلا خلاف بيننا في هذا والله الحمد

ان الضابط أحمد افندي بدوي النقاش يريد ان يثبت ان الانسان خلق حرا مختارا مستقلا في أعماله تمام الاستقلال وانه مالك لا سباب سعادته وشقاؤه ملكا تاما وان هذه الحرية والاستقلال والملك لا يعارضها شيء من سنن الفطرة وليس للخالق فيها فعل ولا لإرادته عليها سلطان ولا لعلمه بها تعلق الا ان الله تعالى يعلم ما عمل الانسان بعد وقوعه . وهذا مذهب لم يقل به فيما نعلم أحد من البشر الملمين ولا غير الملمين . بل الذي عليه المحققون من فلاسفة هذا العصر أقرب الى مذهب الجبرية من الملمين كما بينا ذلك من قبل

إن العلم الإلهي يتعلق بالمعلومات تعلق انكشاف لا تعلق خلق وإيجاد وإلزام وإجبار فهو لا يعارض مذهب صاحبنا الجديد أو فلسفته القرية فما الذي حمله على إنكار علمه تعالى للغيب وتمحله لإثبات ذلك بالآيات الناطقة بابتلاء الله الناس وتعليه ذلك بقوله « لنعلم » وقوله « ليعلم » ( هـ ) وقد فسرنا أمثال هذه الآيات بما يطابق الدلائل العقلية على إحاطة علم الله تعالى والآيات الكثيرة الناطقة بعلمه للغيب ومنه أعمال البشر قبل وقوعها والآيات الكثيرة المبينة لبعض تلك الأعمال قبل وقوعها

ورد وصفه تعالى بعالم الغيب والشهادة في الانعام والتوبة والرعد والمؤمنين والم السجدة والحشر والتغابن ، ووصف بعلم الغيب فقط في سور أخرى ، فبأي سلطان يتحكم أحمد افندي بدوي في علمه تعالى للغيب فيستثني منه أفعال الناس وهو تعالى



يقول (٢: ٢٥٥) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء) أي يعلم ما يكون امامهم من مستقبل أمرهم وما كان من ماضيهم فهو محيط بكل شيء من أمرهم وهم لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء لانه هو واهب العلم للانسان وواهب كل شيء يتمتع به ، وقال أيضا بعد ذكر خبر القيامة وهي من علم الغيب (٢٠ : ١١٠) يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون به علما) فهل أحاط أحمد بدوي به علما فحدد ما يتعلق به علمه وما لا يتعلق به ؟ ؟

ألم يخبر الله تعالى نبيه ببعض أقوال الناس وأعمالهم قبل وقوعها كقوله عز وجل (٢ : ١٤٢) سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم ( وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٦ : ١٤٨) سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا) الآية وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١١) سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا ، يقولون بالسنتهم ما ليس في قلوبهم ( وقد صدق الله فقالوا ذلك ، وقوله (٤٨ : ١٥) سيقول المخلفون اذا انطلقتم الى مقام لتأخذوها ذرونا تتبعكم يريدون ان يبدلوا كلام الله قل لن تتبعونا كذلكم قال الله من قبل فسيقولون بل تحسدوننا ، بل كانوا لا يفقهون الا قليلا ) وقد صدق الله عز وجل فقالوا ذلك وكانوا يريدون به ما اخبر تعالى انهم يريدونه

ومن اخباره جل جلاله باعمال الناس قبل وقوعها في الدنيا قوله وسع كل شيء علمه بعد الآية الاخيرة التي ذكرناها آنفا من سورة الفتح ( قل للمخلفين من الأعراب استدعون الى قوم أولي بأس شديد تقاتلونهم أو يسلمون ) وقد كان ذلك — وقوله تعالى مبشرا في هذه السورة بفتح مكة وكان النبي (ص) رأى ذلك في منامه (٤٨ : ٢٧) لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين مخلفين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون ) الآية وكان ذلك كما قال عز وجل وقوله ( ٣٠) الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين ، لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو القوى العزيز \* وعد الله لا يخاف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) وقد

صدق خبر الله تعالى ووعدده في الموضعين فغلب الروم في بضع سنين وفرح المؤمنون يومئذ بنصر الله إياهم على المشركين كما هو مبين في محله . ويدخل في هذا الباب ما بشر الله به زكريا يحيى وما بشر به مريم وذكره من وصف ولدها وأعماله قبل ولادته ، ومن أخباره تعالى شأنه بأعمال الناس وأقوالهم في الآخرة قوله ( ٧ : ٣٨ ) قال ادخلوا في أم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار، كلما دخلت أمة لغت اختها ، حتى اذا داركوا فيها جميعا قالت اولاهم لا خراهم ربنا هؤلاء أضلونا ) الى الآية ٥٠ منها ولتدبر احمد افندي البدوي قوله تعالى بعد ذلك ( ٥١ ) ولقد جتاهم بكتاب فصلناه على علم ومن قبيل آيات سورة الأعراف في تحاور أهل الجنة وأهل النار وتخاصمهم آيات سورة الصافات كقوله ( ٣٧ : ٢٧ ) وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) الخ وهي في تخاصم أهل النار ، وقوله في حوار أهل الجنة بينهم ثم اطلعهم على أهل النار ومخاطبتهم إياهم ( ٥٠ ) فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ٥١ قال قائل منهم اني كان لي قرين ٥٢ يقول أثنتك لمن المصدقين ) الخ الايات وفي سورة (ص) شيء من تخاصم أهل النار ، وفي سورة الحديد نبأ عما يكون من التحوار في الآخرة بين الناققين والمؤمنين

أفنسيت ايها المنكر لعلم الله تعالى بأعمال الناس قبل وقوعها هذه الآيات كلها أم تجد لها تفسيراً برأيك تحرفها به عن مواضعها كما حرفت غيرها بسوء الفهم لا بسوء القصد كما هو الظن فيك ، ولولا ما نشر نارسالتك ، ولما طمعت في هدايتك ، فراجع نفسك ، واستغفر ربك ، ولا تفتربعد برأيك ، واعلم ان هذه الزلة التي زلت لا تتفق مع الايمان الصحيح الذي يعتد به المسلمون ، ومن فضل الله عليك ان كنت على هذا الشذوذ الفاحش مؤمناً باقرآن متأولاً له وهذا هو محل الرجاء فيك ، والطمع في وجوعك الى الحق ، اذا كنت غير مفرور بنفسك

وهناك نوع آخر من أخباره تعالى عن مستقبل بعض الناس ، منه الاخبار بعدم إيمان اناس مخصوصين كان النبي صلى الله عليه وسلم حريصاً على إيمانهم والحجة فيه مزدوجة فهو حجة على علمه تعالى بغيب الناس وحجة على ان من الناس من يختم الله على قلبه فيفقد الاستعداد للإيمان والحق والخير . ومن ذلك قوله تعالى ( ٢ : ٦ ) ان

(المارج ١٠م ١٢) مشيئة الله وإرادته . جريها على سنن حكيمة ٧٨٣

الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون ٧ ختم الله على قلوبهم) الخ وقوله ( ١٨ : ٥٧ وجعلنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا ، وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا )

ولو شئنا لاتقلنا من هنا الى موضوع تكثرفيه الآيات الناقضة لمذهبه في الاستقلال التام والحرية المطلقة التامة للبشر في افعالهم كاسناد اعمالهم اليه تعالى وتقييد مشيئتهم بمشيئته فمنها : ( سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق - ولكن كره الله انبعاثهم فسطهم وقبل اقدموا مع القاعدين - يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا - فلم تقتلهم ولكن الله قتلهم ، وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى - وأضل الله على علم - سنستدرجهم من حيث لا يعلمون \* وأملى لهم ان كيدي متين - وما نشاؤون الا ان يشاء الله - قل كل من عند الله - ولو شاء الله ما اقتتلوا ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة - ولو شاء الله لجمعهم على الهدى - ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم - ولو شاء الله لهداكم اجمعين - ولو شئنا لاتينا كل نفس هداها - قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ما شاء الله - يريد الله ان لا يجعل لهم حظا في الآخرة - ومن يرد الله فتنه فلن تملك له من الله شيئا - فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا - وان يمسك الله بضر فلا كاشف له الا هو ، وان يردك بخير فلا راد لفضله - ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء - والله لا يهدي القوم الظالمين - والله لا يهدي القوم الفاسقين )

وامثال ذلك كثير وما كنا نحب ان نشير اليه في موضع لا يتسع لابطال ما فهمه الجبرية منه على اننا قد بينا ذلك في التفسير وفي مواضع اخرى لا يمكن لاحد افندي بدوي ان يستقي عما ذهبنا اليه في تفسيرها وهو ان مشيئة الله تعالى واوداته جارية على سنن حكيمة هو الذي وضعها لنظام العالم ومنها ان للانسان علما بما يفعل وإرادة ترجح بعض الاعمال الممكنة المستطاعة له علي بعض واستقلالاً ما في عمله الاختياري اي الذي يعمل



وجملة القول ان الفرق بين اعتقادي وهو اعتقاد جميع المسلمين وبين اعتقاد  
احمد افندي بدوي اننا نحن نوؤمن بان الله تعالى عالم الغيب والشهادة يعلم ما يعمل  
عباده قبل ان يعملوه وبعد ان يعملوه لا يتقيد علمه بالزمان ، وانه يعلم ما سوف يجازي  
به جميع الناس في الآخرة كما يعلم جميع ما يصيبهم من البلاء في الدنيا قبل وقوعه  
وبعده بلا فرق ، وان الجزاء على الأعمال انما يكون بحسب تأثيرها في الارواح  
وتزكيتها للنفوس او تدسيثها لها كل ذلك مما يحيط به علمه وتنفيذ فيه مشيئته بحسب  
علمه ، وان هذا كله لا ينافي ما منحه الله للناس من اختيار واستقلال بل هو مرتب عليه  
والمنحة وآثارها من فضله بمحض ارادته . واما احمد افندي بدوي فهو يعتقد ان  
الانسان خارج في افعاله عن محيط علم الله تعالى ومشيئته مستقل تمام الاستقلال ليس  
لله عليه سلطان في افعاله وانه سبحانه وتعالى عما وصفه به كحكومة السودان في امر الجزاء  
وضع قوانين وهو لا يعلم من يعمل بها ومن لا يعمل ولكنهم بعد ان يعملوا يطلم على  
عملهم فيجازيهم عليه ١١١ هذا ما يريد ان يصلح به هذا الجندي دين المسلمين ، هذا  
هو التحقيق الذي فاق به الاولين والآخرين ، وما هو الا ضلال مبين ، فحسب ان يرجع  
عنه ولو بعد حين



(المناج ١٠ م ١٢) تقرّظ المطبوعات • الرد على النبهاني ٧٨٥

## تقرّظ المطبوعات الجديدة

### ﴿ غاية الاماني، في الرد على النبهاني ﴾

كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الاعلام المكنى بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي . رد فيها ما جاء به النبهاني من الجهالات والنقول الكاذبة والآراء السخيفة والدلائل المقابرة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وانصار السنة كشيوخ الاسلام ابن تيمية . بين المؤلف في كتابه هذا الحق في مسألة الاستغاثة وما يتعلق بها ، وأطال فيما لا بد من الاطالة فيه من تكذيب ما عزي الى ابن تيمية كذباً وبهتاناً من الأقوال الباطلة وما عزي اليه مما ظن الناقلون لجهلهم انه انفرد به وهو لم ينفرد به وما زعموا أنه باطل لعدم الوقوف على دليله ، وجاء بالنقول الصحيحة من كتبه وكتب غيره من العلماء التي تقند أقوال المعارضين الكاذبين والجاهلين تفنيداً ، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فيكون زهوقاً

وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية في التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والآداب والتصوف ، وما انفرد به بعض المشاهير فانكره العلماء عليه كالانكار على الغزالي وابن العربي الحاتمي وغيرها

فعلى هذا الكتاب يحيل الذين يكتبون إلينا من الشرق والغرب يسألوننا ان نرد على النبهاني وكذا من اغتروا بقوله وقوله وظنوا ان قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها « انه لا يوثق بعله ولا بنقله » هو من قبيل السب . وحاش لله ما هو إلا ما نفتقده فيه وفي كتبه بعد النظر في بعضها ورؤية ما فيها من الاحاديث الموضوعية والنقول المكذوبة والاستنباطات الباطلة ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً وهو ينكر الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلاً له

( المناج ١٠ ) ( ٩٩ ) ( المجلد الثاني عشر )

## ٧٨٦ إعلام الموقعين وحادي الأرواح . الاجوبة المرضية ( المار ج ١٠ م ١٢ )

وقد قرظ هذا الكتاب طائفة من العلماء تقاربط حسنة فكانهم كلهم ردوا على النبائي ما جمعه كحاطب ليل . وقد طبع بحروف واضحة في مصر ولكن جاء فيه كثير من غلط الطبع فجمع في جدول في آخره فينبغي لمن يقرأه أن يراجعه ويصحح الكتاب عليه قبل القراءة . وهو بطلب من الشيخ أحمد رزق بشارع الفقاهين بمصر وثمنه خمسة وعشرون قرشا

\*\*\*

### ﴿ إعلام الموقعين . وحادي الأرواح ﴾

سبق لنا التنويه بكتاب ( إعلام الموقعين ) والنقل عنه فأكثر قراء النار يعرفون قيمته ويعلمون أنه لم يؤلف مثله أحد من المسلمين في حكمة التشريع ومسائل الاجتهاد والتقليد والفتوى وما يتعلق بذلك كيان الرأي الصحيح والفساد والقياس الصحيح والفساد ومسائل الحيل وغير ذلك من الفوائد التي لا يستغني عن معرفتها عالم من علماء الاسلام .

واما « حادي الأرواح إلى بلاد الافراح » فهو كتاب للإمام أبي عبد الله محمد بن القيم صاحب إعلام الموقعين جمع فيه ما ورد في الكتاب والسنة وآثار السلف في اللجنة مع بيان معانيها وما يتعلق بها بما عهد من قلم المصنف الجوال في ميدان البيان ، بما يهجز عن مثله فرسان هذا الشأن ، وقد طبع الكتابان معا بحرف جميل في مطبعة النبل بمصر في ثلاثة مجلدات

\*\*\*

### ﴿ الاجوبة المرضية ﴾

« عما ورد في كتاب الدين بن الأمام على المستدين بثبوت . ثمة المغرب القبلية »

كتاب صفحاته ٣٩ وإذا كان يعد صغيرا في ورقاته فهو كبير في موضوعه بل يقال بادي الرأي أنه أكبر من المسألة التي وضع ليانها وهي سنية ركعتين قبل فريضة المغرب ، وبما يظن الذكي الذي لم يقرأه أنه ككثير من الكتب التي وضعت ليان شيء لا ينسجم القول فيه فأكثر واضموها من الاستطرادات والمباحث التي



ليست من الموضوع في شيء ليرضي أحدهم هواه ويظهر فضله بتأليف كتاب كبير في مسألة صغيرة

وقد يظن من له حظ من علم الحديث ان هذا الكتاب لا حاجة الى مثله لان سنة المغرب القبلية ثابتة في الصحيحين ، فلا ينبغي ان يكتب فيها أكثر من سطرين ، حرصا على الوقت ان ينفق إسرافا فيما لا فائدة فيه . واما المقلد فلا يبالي أصح الحديث في المسألة أم لا لأنه يتبع ما وجد عليه آباءه وان كانوا لا يعقلون شيئا ولا يهتدون

وهذا الظن أيضا لا يصح ولا يرتضيه صاحبه لنفسه إذا هو اطلع على كتاب الاجوبة المرضية ولو كان الامر كما يظن قبل قراءته لما اطالت في تقريبه وتنبه الاذهان اليه

الكتاب صغير في حجمه كبير في معناه وفائدته فهو كالمعول الصغير يهدم به البناء الكبير . هو يهدم لك تلك الشبهة الباطلة التي كبرت واتسعت حتى أحاطت بأذهان أكثر الناس وهم الذين يقولون إن علماءنا الذين سبقونا هم الذين أحاطوا بعلم ديننا فيجب ان نأخذهم منهم لانه كتب المقدسة لا نأمكن ان نفهمها كما فهموها . هذا ما كان يقوله المقلدون في كل دين حتى قاله المسلمون الذين امتاز كتبهم المنزل بابطال التقليد وذم فاعليه : يقول اتباع كل مذهب منهم ان فقهاء مذهبنا هم اعرف الناس بكلام ربنا وسنة نبينا فاذا قلدناهم كنا متبعين للكتاب والسنة من غير ان ننظر فيهما ولا ان نفهم شيئا منهما بل يجوز لنا ذلك ويقول لهم اهل البصيرة بل عليكم ان تصيبوا حفا من النظر فيهما وان يكون اصل اهتمامكم بهما وان يكون كلام العلماء من المفسرين والمحدثين والفقهاء عوناً لكم على ذلك فلا يسمعون «وما اضيع البرهان عند المقلد» وقد يزيد صالب العلم منهم جهودا وتصابا ما يراه في بعض كتب مذهبه من الاستدلال وال ترجيح والرد على المخالفين الذين لم يطالع على ادلتهم فيظن ان ذلك هو التحقيق الذي ليس وراءه غاية فيته بذلك عجباً ولو رجع الى اصول تلك الدلائل وكلام اهل الشأن فيها لرأى ما لم يكن يرى وتغير حكمه على كثير منها وهذا كتاب الاجوبة المرضية يمثل اقله نمودجا من ذلك

الكمال ابن الهمام أعلم الخفية في عصره ولم يجيء بعده مثله بل يقل وجود مثله فيمن تقدمه منهم حتى قيل انه وصل الى رتبة الاجتهاد المطلق وكتابه الفتح القدير هو امثل كتبهم المتداولة واقواها استدلالا وبخا في الحديث وتخريجا له ولكنه لما كان بحجة واستدلاله لا جل تأييد المذهب لا لأجل بيان الحق في نفسه سواء وافق مذهبهم ام وافق غيره من المذاهب كان كثير الغلط والخطا في الاستدلال فاذا فحص العالم المستقل ادلته التي يرجح بها مذهبهم على مذهب الشافعي وغيره يرى الكثير منها خلافة وجدلا وكتاب الاجوبة المرضية يشرح لك ذلك في مسألة سنة المغرب القبلية فان الكمال عفا الله عنه يعارض الاحاديث المتفق عليها والمروية في احد الصحيحين وغيرهما من كتب الصحاح بأثر عند ابي داود لم يرتق به الى مرتبة الصحة فيقول في ترجيحه اقوالا ينقضها ما هو مقرر في علوم الحديث والاصول حتى انك لتعد من خطاه فيه العشرات

فكتاب الاجوبة المرضية على صفه يبين لكل ذي بصيرة ان المسلمين لا يستغنون بكتب فقهاء المذاهب مهما جل مؤلفوها عن القرآن والسنة وكتب الحفاظ في الحديث وعلومه ، وانهم لا يكونون مهتدين بكلام الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الا اذا جعلوا العلم بهما مقصودا لذاته في الاهتداء لا لتأييد مذهب على مذهب

اما مؤلفه فهو الشيخ محمد جمال الدين القاسمي المنقطع في دمشق الشام للتأليف وتصحيح الكتب المفيدة والتدريس مع الاستقلال في الفهم والاخلاص في العمل والاعراض عن زينة الدنيا وما يرغب فيها علماء السوء من المال والجاه . ومع هذا كله ينهمر الحشوية والمفسدون في الارض بأنه مشتغل بتأسيس مملكة عربية ويفرون به الحكومة الدستورية كما كانوا يفرون به الحكومة الحميدية فله ان يقول:

انا في امة تداركها الله (م) غريب كصالح في عمود

\*\*\*

الحرية في الإسلام

ألقى الشيخ محمد الخضر أحد علماء تونس المدرسين في جامع الزيتونة الاعظم

منذ ثلاث سنين وشهور مسامرة في نادي جمعية قدماء تلاميذ المدرسة الصادقية بتونس موضوعها الحرية والاسلام شرح فيها معنى الحرية والشورى والمساواة وقسم الحرية الى اقسام : حرية في الاموال وحرية في الاعراض وحرية في الدماء وحرية في الدين وحرية في خطاب الامراء ، وختمها بالكلام في آثار الاستبداد

طبعت هذه المسامرة في هذا العام فبلغت صفحاتها ٦٤ صفحة وتفضل صاحبها باهدائها نسخة منها منذ اشهر وكتب عليها بخطه وقد ارجأنا تقيظنا راجين ان نجد وقتا نطالعها فيه ولما نجده ، فرأينا ان ننوه بها الآن تنويها اجماليا وسنقل في جزء آخر نموذجا منها

ومن وجوه العبارة في هذه المسامرة ان علماء تونس الرسميين يخطبون في الاندية حتي في المسائل السياسية وحكم الاسلام فيها وبهذا يفضل علماء جامع الزيتونة علماء الجامع الازهر . ومنها ان الشيخ محمد الخضر كان في الوقت الذي ألقى فيه مسامرته قاضيا لمدينة بنزرت وهذا يدل على ان عمال الحكومة التونسية يتمتعون بحرية اوسع من حرية عمال الحكومة المصرية المتنوعين من الكتابة — بله الخطابة — في السياسة ولو من الوجهة الدينية . او ان فرنسا اوسع صدرا من انكلترا في ذلك

\*\*\*

### ﴿ شرح المعلقات للزوزني ﴾

المعلقات السبع لفحول شعراء العرب في الجاهلية مشهورة وفائدتها لطلاب ملكة الشعر وأدب هذا اللسان معروفة ، وشرح الزوزني لها هو عمدة المتأدين في فهمها وقد طبع أكثر من مرة ولعل أحسن طبعاته هي الطبعة الأخيرة بمطبعة دار الكتب العربية بمصر فهي تفضل غيرها بمعارضة المعلقات فيها على النسخة التي اعتمدها الشيخ محمد محمود الشقيطي امام اللغة والادب في هذا العصر ( رحمه الله تعالى ) وبإثبات الأبيات الزائدة على ما في شرح الزوزني كما وجد في نسخة الشقيطي وبضبط الأبيات بالشكل ، وبضم معلقتين أخريين اليها احداهما النابغة الذبياني والثانية لأعشى بكر وائل وقصيدتي النابغة الذبياني الشهيرتين اللتين بصف في احدهما المتجردة



زوج النعمان بن المنذر ، ويمتد في الأخرى له عما بلغه من السعاية فيه . ويطلب الكتاب من دار الكتب العربية الكبرى للحاج مصطفى الحلبي وأخوته بمصر

\*\*\*

### ﴿ الوطن - أو - سلسلته ﴾

هي القصة التمثيلية الشهيرة لكاتب الترك وخطيبهم وأحد زعماء الأحرار السياسيين فيهم وامام النهضة الحديثة في ترقية اللغة العثمانية وتكوينها ناصح كمال بك ( رح ) وهو يمثل في هذه القصة حب الوطن يغالب العشق فيغلبه ، ويصور فيها الوجدان والوجد والشعور المتغلغل في أعماق النفس ، والهوى المستتر في زوايا القلب ، حتى تكاد تكون هذه المعاني الروحية ، أشباحاً مرئية ، ولكنه يسرف في ذلك أحياناً فلا يراعي فيه ما تهجد مثله الطبايع وتعرف طعمه الأذواق فينتبه الذهن إلى كونه خيالاً لا حقيقة ، وقد اشتهرت هذه القصة في أوروبا حتى ترجمت باللغات الفرنسية والألمانية والروسية ، ولكنها كانت محجوراً عليها في عهد الحكومة الحميدية ، كسائر آثار مؤلفها ، وجميع ما ينه الأذهان من أمثالها ، حتى إذا ما جاء الدستور ، فأباح ما حرمة الاستبداد من الآداب والعلوم ، بادر الأحرار العثمانيون إلى تمثيل هذه القصة بالتركية ، ثم مثلت في بيروت بعد ترجمتها بالعربية ، ترجمها بالعربية الشيخ محي الدين الخياط وأجدر بمثله ان يحسن ترجمة مثلاً ، ويجعل فرعها وارثاً لمحاسن أصلها ، وقد أودعها بعض الأناشيد والقصائد من نظمه فزاد ذلك في مسناها وحجمها ، وطبعها سليم أفندي هاشم وكال أفندي بكداش وهي تطالب من المكتبة الأهلية ببيروت ومكتبة هندية والمليجي بمصر

\*\*\*

### ﴿ المجلات والجرائد ﴾

( النبراس ) مجلة أنشأها في بيروت صديقنا الشيخ مصطفى الغلاييني وهي

تبحث في المسائل الأدبية والسياسية وغير ذلك ومشربها دستوري إصلاحية . ومنشئها من تلاميذ الأستاذ الإمام كان على عهده مجاوراً في الأزهر يواظب على دروسه وهو ممتلئ غيرة وإخلاصاً وقد اشتهر إسمه في بيروت في أثناء إعلان

الدستور بما كان يلقيه من الخطب في المجالس . وهو مؤلف كتاب ( الاسلام روح المدنية ) الذي رد فيه على ( لورد كرومر ) وقد كان من جرأته في الحق أن طبعه في بيروت قبل اعلان الدستور وفيه نقول من كلام الأستاذ الامام معزوايه بمضها بالتصريح وقول أخرى عن المنار ( كما أشرنا الى ذلك في تقريره ) ولولا ان جاء الدستور عقب طبعه لما سلم من الخطر والبلاء من الحكومة الحميدية عدوة العلم والدين . فمجلة النبراس جديرة بمضيده محبي الاصلاح ومساعدة النابتة الصالحة التي يرجي بنجاحها نجاح البلاد . وقيمة الاشتراك فيها ٢٥ قرشاً لأهل القطر المصري وثمانية فرنكات لغيره من الاقطار ما عدا الولايات العثمانية فالقيمة لأهلها ريال مجيدي وربع

\*\*\*

( المفيد ) جريدة يومية سياسية أنشأها في بيروت صديقنا عبد الغني افندي العربي وهو من خيرة النابتة الحرة في بيروت مهذب الاخلاق ذكي الفؤاد شديد الغيرة على الدولة والملة قوي الاخلاص لها وحسبك انه كان على حدائه سنة من اعضاء جمعية الشورى العثمانية التي أسسناها في القاهرة لمجاهدة استبداد الحكومة الحميدية وطلب الدستور . فانا لا أزكي عليه وعلى صاحب النبراس أحدا من نابتة الديار السوديه في الحرية والاخلاص للدستور والرغبة في ترقية الأمة بعد كهلنا المشهورين كالسيد الزهراوي ورفيق بليك العظم وقد ظهرت مزايها جريدة المفيد لأهل الفهم في بيروت بصدعها في انتقاد الوالي قبلاً ادهم بك وغيره من رجال الحكومة ومقارعتها لأصحاب النزعات الجنسية من الترك الذين يهضمون حقوق الأمة العربية وتنبهها اهالي البلاد العربية التي انشئت بلسانهم الى ما به حياتهم ورفعة شأنهم ، من غير تقية ولا مراعاة ولا مداراة ، وهي شديدة الانتقاد حتى كادت تكون غاية متطرفة فيه كجريدة المقبس وإن الحرية التي لا تزال طفلة في مهد البلاد العثمانية لا تكاد نستطيع حمل اثقال الغلو في انتقاد الحكام فننصح لصديقنا ورفيقنا الجديد ان لا يخرج عن محيط الاعتدال ، وان يوجه سهام تده دائماً الى الاعمال لا الى العمال ،

ثم اذكره بان بقي في تنبيه الأمة العربية وارشادها عصبية الجنس التي ينهى

( المئارج ١٠ م ١٢ )

الرقيب

٧٩٢

عنها الاسلام ، وتنافي مصلحة الدولة في هذه الأيام ، وان نبث بثرها بعض الاغرار من الترك والاشرار من سائر الاقوام ، بل يجب إحياء اللغة العربية لانها لغة الدين الاسلامي الذي لا يفهم حق الفهم الا بها ، واللغة المشتركة بين جميع المسلمين على اختلاف اجناسهم ، لا لغة العنصر العربي وحده ، ولكن دعوتنا الى إحيائها ونقل جميع العلوم العصرية اليها ، كدعوة علماء الاسلام وانصاره من الترك الذين نرى من فئات اقلهم في جرائدهم ومجلاتهم ما لم نر لجرائدنا ومجلاتنا خيرا منه في الحث على احياء هذه اللغة الشريفة ، فارجم الى مجلة « صراط مستقيم » تجدها في ذلك على هدى وعلى صراط مستقيم

ولا أنهي صاحب « المفيد » عن الوقوف بالمرصاد لمن يزل عن هذا الصراط من الترك وغيرهم فيعزز جنسيته ، وهو جاهل بأنه يضر بذلك قومه ودولته ، بل عليه ان يتبع عوارهم ، ويقلم أظفارهم ، ويترجم ما يكتبون في ذلك ويحذرهم من مغبته ، وإغرائه كل عنصر بتعزيز عصبية

وقيمة الاشتراك فيها اربعة ريات في بيروت وابرة عثمانية في سائر الجهات

\* \* \*

( الرقيب ) جريدة تصدر في بغداد مرتين في كل أسبوع وتكتب بالعربية

والتركية صاحبها ومديرها عبداللطيف افندي ثنيان ( وكيل مجلة المنار ) ويهجننا منها ان أكثر ما يكتب فيها هو في انتقاد ما ينتقد على حكومة بغداد وعلى أهلها ومطالبة الفريقين بما يجب على كل منهما من الاصلاح . وفي يدنا الآن العدد ٥٥ منها الذي صدر في ٨ رمضان وهو مفتوح بترجمة ما كتبه النادي العسكري في بغداد للصدارة ونظائري الحرية والداخلية عن الاختلاف واضمحلال الفيلق السادس . وسنشره في باب الاخبار . ويليه نقل ماروي عن طلعت بك ناظر الداخلية الجديد من اهتمامه بأمر الامن وراحة الاهالي وكتابته الى الولاة بذلك . والتعقيب على هذا الخبر بعدم ظهور اثر ولا ذكر له في ولاية بغداد ، والعدد كله على هذا المنهاج . قيمة الاشتراك فيها مدة سنة يصدر فيها مئة عدد ٣٥ قرشاً لاهل بغداد و٣٥ لساير الولايات العثمانية و٢٧ رويات لاهل خليج فارس والهند و ١١ فرنكا لساير الممالك



( المراجع ١٠ م ١٢ ) الديار السورية في عهد الحكومة الدستورية - بيروت ٧٩٣

## باب الأخبار والآراء

﴿ الديار السورية ، في عهد الحكومة الدستورية ﴾

بيروت

جعل ناظم باشا الشير واليا على بيروت بعد طلوع فجر الدستور وكانت الولاية لانزال سكرى بخمرة الاقلاب ، وأهلها من احتقار الحكومة والافقيات عليها في هياج واضطراب ، فكانت سياسته فيها كسياسته في عهد الاستبداد : سياسة مدارة للأهالي حتي كان نفوذ كثير من البحارة والحمالين ( الشياطين ) في بيروت أقوى من نفوذه ، وجوارهم أعز من جواره ، بل ظهر للناس كافة انه أحوج الى حمايتهم منهم الى حمايته ، وقد وافينا بيروت في تلك الاثناء ورأينا منه هذا الضعف ، فتلطفنا في الاشارة اليه بالنصح ، مبينين له ان الاهالي مهما ظهر من اعتصابهم ، واعتصامهم فيما ليس من شأنهم ، لا يقفون في وجه الحكومة اذا اخذت بالحزم ، وعנית بما هو أول واجب عليها من حفظ الامن ، بل قلنا له ان الوالي يجب ان يكون في مثل هذا الطور الذي نحن فيه منفذا للدستور بضرب من الاستقلال يشبه الاستبداد حتي يكون الاهالي معه كمن وردفهم انهم يقادون الى اللجنة بالسلاسل أي يلزمون الاعمال التي تهودم اليها الزاما لا محيص عنه . وقد أشرنا الى هذا فيما كتبناه عن رحلتنا في مجلد السنة الماضية

ولكن هذا النصح لم يؤثر في نفس الوالي لأنه جرى في الإدارة على ما تعود ولأنه كسائر كبار الحكام قد شعر بثقل مسؤولية الدستور من حيث شعراً كثر الاهالي بضد ذلك وظنوا ان الحكومة لم يبق لها عليهم من سيطرة ولا قوة . فكان حفظ الامن وإضاعته في بيروت في يد عصائب أولي القوة من عامة الاهالي الذين يطلق عليهم لفظ ( الأ بضايات ) ونحمد الله ان كانت حكومتهم على ما فيها من الخطر حافظة للامن العام ثم قل ناظم باشا الى دمشق الشام بعد اخراج شكري باشا منها - وسيجي ذكره - وبقي فيها الى الشهر المنصرم فأعيد الى بيروت وعسي ان تكون حاله فيها خيرا من حاله السابقة في بيروت ومن حاله في الشام وسنشير اليها

( المراجع ١٠ ) ( ١٠٠ ) ( المجلد الثاني عشر )

## ٧٩٤ بيروت وطرابلس في عهد الدستور (المارج ١٠ م ١٢)

ثم ولي ولاية بيروت أدهم بيك وهو رجل قلم وفكر ، لارجل ادارة وعمل ، بارد المزاج لا يبالي ان يعرف حال البلاد وأهلها ، ولا يهتمه ما وقع فيها وانما يرى كل الواجب عليه ان ينظر في الاوراق التي تلقى اليه ، فيوقع عليها التوقيع الرسمي الذي كان يتعلمه ، اذ لم يكن من قبلُ يعلمه ، وقد بينا في الممار من قبل اننا نصحناله بأن يعيد نفوذ الحكومة الى نصابه ، ويوقف اقتيات عصائب العوام عند حده ، ويعنى بحفظ الامن والحرية الشخصية ، وانه أجابنا بأن هذا لا يمكن ولا يتيسر الا بعد أن تصالح حكومة الاستانة نظام الشرطة والشحنة (الضابطة والبوليس) وتنفذه في جميع الولايات ، ولم يكن يعقل معنى قولنا ان ذلك في استطاعة كل حاكم ، وانه لا يفتر فيه الى إصلاح القوانين ولا تجديد النظام وإنما يحتاج فيه الى الحزم ومعرفة حال الاهالي ونفوذ الحاكم الحازم . وبيننا أيضا اننا نصحناله بمثل ذلك لتصرف طرابلس جواد بيك وانه كان يحجبنا بمثل ما أجابنا أدهم بيك الوالي لان كلا منهما من أصحاب النظر لامن أصحاب العمل ولكن المتصرف كان يحيل على الوالي كما يحيل الوالي على الاستانة ظهر بعد ذلك صدق ما قلناه لما أولهم فقد ولي قيادة الشرطة بيروت أمير الألاي فحجب بيك فقل عصائب المقاتلين ومنع حمل السلاح وما كان من إطلاق الرصاص في الليل والنهار وقبض على من لم يفر ويغادر البلاد من المحكوم عليهم وأرهب جميع الاشقياء فعرف الاهالي ما لم يكونوا يعرفون من سطوة الحكومة واحترامها ، وكان خبر عون له على هذا نافذ بيك رئيس الشحنة ( مدير البوليس )

وولي متصرفية طرابلس الامير امين رسلان فعني في أول الامر بحفظ الامن فتيسر له مع سوء حال الشرطة والشحنة ما كان يراه سلفه متعسرا بل مستحيلا من منع إطلاق الرصاص والظهور بحمل السلاح وارهاب الاشقياء واقبض على كثير من المحكوم عليهم منهم وإقامتهم في السجون ، ثم فترت همته في آخر العهد وقيل انه صار يقبل شفاعة بعض الوجهاء أو المثنيين الى بعض الجماعات ولعله لا يدري انهم انصار الاشقياء وأعوان السفهاء وشركاء اللصوص وسالي الامن . وقد انتخب بهبهرة عن متصرفية اللاذقية وولي مكانه آخر . فهل يعتبر الولاية والمتصرفون ورؤساء الشرطة والشحنة في سائر البلاد بفعل نجيب ونافذ وأمين في حفظ الامن واحترام الحكومة ؟

## (النازج ١٠ م ١٢) دمشق الشام - حادثة رمضان فيها ٧٩٥

### دمشق الشام

كان والي الشام عند اعلان الدستور شكري باشا ولهله أضعف ولاية الدولة عقلا وفهماً وأسوأهم ادارة وأقلهم حزماً ، ناهيك بسوء تصرفه في حادثة آخر رمضان من العام الماضي فقد كان فيها آلة في ايدي اعداء الدستور ومثيري الفتنة ابتغاء قلب الحكومة الدستورية ، وإعادة العبودية الحميدية ، وقد اشرنا الى ذلك في سياق رحلتنا السورية في منار العام الماضي فلا نعيد وقد عزل بتلك الحادثة شر عزلة ثم ولي الشام من بعده ناظم باشا فلم يأت فيها باصلاح جديد بل انتشرت في دمشق على عهده جمعية 'ولقان' الافسادية التي أطلقوا عليها اسم 'الجمعية الحميدية' تمويها وخداعاً لعوام المسلمين . نشرها مثيرو فتنة آخر رمضان كالشيخ عبد القادر الخطيب والشيخ صالح التونسي واعوانها من الوجهاء ، ولولم يصطلم محمود شوكت باشا بجيش الحرية تلك الفتنة في الاستانة بتلك السرعة التي أدهشت العالم لظهور الفتنة في دمشق الشام في أقبح مظاهرها ولقام عشرات الألوف الذين دخلوا جمعية الافساد ينادون بإبطال الدستور وإعادة السلاطة الحميدية ، باسم الشريعة الحميدية ، على حين لم ينجذل الاسلام سلطان من السلاطين كما خذله وأضعفه السلطان عبد الحميد لاسقى الله عهده ، ولا أرى المسلمين مثله بعده

### حادثة رمضان الماضي في دمشق

أشرنا في الجزء الماضي الى هذه الحادثة المشثومة وقد ظهرت بوادرها في آخر مدة ناظم باشا وشاع ان له يدا فيها وان ضلعه مع الفاتنين الذين أثاروها ولهذا الاشاعة سئل عن ذلك في بيروت فأنكره وقال انه دافع عن كرد علي لما اتهم أولاً بمشايمة جمعية (ولقان) وكتب الى الاستانة ان كان كرد علي ارتجاعياً فانا ارتجاعى فكيف يتهمه بهذه الشهادة بالارتجاع ، وشاع أيضاً ان حسين عوني بك مدير المعارف بالشام قدم هذه الفتنة في الاستانة تمهيدا قربها به من تصور الحكومة ، وان السبب في ذلك حملات المقتبس الشديدة في التقاعد عليه و بيان ما في ادارته من الخلل والتقصير . ويغلب على فاني انه لو بقي ناظم باشا في الشام لتلافي الفتنة ولأتهذ من مخالبتها مثل الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال القاسمي وعبد الرحمن بك اليوسف



## ٧٩٦ أحرار دمشق . اقراء الرجعيين عليهم ( المار ج ١٠م ١٢ )

لأنه يعرف من اخلاص هؤلاء للحكومة الدستورية ما لا يعرفه غيره ويعرف ما كان يكيد أكاير المجرمين ودعاة الفتنة من اتباع أبي المدي وغيره للشيخين البيطار والقاسمي في عهد الحكومة الحميدية وانهم يكيدون لها الآن بمثل ذلك ويريدون ان يجعلوا الحكومة الدستورية كالحميدية آلة لنفوذهم والانتقام ممن يفضون من الاخير والاحرار ومحبي الاصلاح . ناظم باشا يعرف هذا كله وكم منع أمثال هذه الفتن والشرور في زمن الاستبداد وهو قادر الآن على مساعدة الأبرياء كالشيخين وعبد الرحمن اليوسف وان لم يكن واليا فقله مقبول عند الوالي الذي خلفه وفي الاستانة أما كرد علي فقد اخطأ خطأ لا يبرئه منه أحد بل رأينا أصدق أصدقائه يلومه فالحكومة أجدر بلومه على ما كتب وان كان بسوء فهم لا بسوء قصد ولكن ليس من العدل أن يجعل الرجل جانبا خارجا على الدولة هادما للقانون الأساسي الناطق بأن سلطان العثمانيين هو خليفة المسلمين

لو كان هذا الأمر مقصودا لصاحب المقتبس كتبه ليدعو اليه لا أسنده إلى بلاغ شيخ الاسلام ، الذي أرسل ليطالع عليه الخاص والعام ، وهو نفسه يمتني لو يسبق جميع الجرائد السورية الى نشره في جريدته . فن البديهي الذي لا يماري فيه عاقل منصف ان نشر تلك الفقرة قد كان زلة قلم ، لا زلة قدم ، وكثيرا ما نزل أقلام الكاتين لكلام الله وكلام رسوله ، وآية ذلك انهم إذا نهوا أو تنهوا الى خطاهم يادرون الى إصلاحه وكذلك فعل كرد علي فأصلح في غده خطأ أمس ، ونحن قد أصلحنا في الجزء الثامن من هذا المجلد خطأ في آية من كتاب الله وفي تفسيرها تباعها وقم في منار العالم الماضي ، وكتاب الله أعظم من بلاغ شيخ الاسلام فل تعاقبنا حكومة الخلافة على ذلك الخطأ ؟ هل يرضى النبي عليه الصلاة والسلام أن تعاقب حكومة الخلافة النائية عنه من يخطئ في خبر معاقبة الجناة في شخصه وعمله ومورد رزقه وهو القاتل « رفع عن أمني الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » . رواه الطبراني عن ثوبان ( رض ) بسند صحيح . أي الفريقين يكون طاعنا في كون الحكومة العثمانية حكومة خلافة ، أمن يخطئ في خبر لا يؤاخذ الله ولا رسوله عليه ، ولا سيما بعد ان تاب ورجع عنه ، أم من يعاقب من منع الله ورسوله عقابه ؟ « ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ،

لقد قرت في دمشق الشام عيون اعداء الدستور الرجعيين ، وما زالت واجفة فيها قلوب الأحرار المصلحين ، فليهنأ الرجعيون في رمضان هذا العام بقتة صاحب المقتبس ، كما هنتوا في رمضان العام الماضي بالقتة التي أثاروها على صاحب المنار ، وكما هنتوا في عام سابق بالقتة التي أوقعوا فيها السيد عبد الحميد الزهراوي ، وليقولوا ان شاؤا ان لكل حر عندنا في رمضان فتة ، واننا نعد لكل طالب للإصلاح محنة ، وإننا لنحن الظافرون في عهد الدستور وعهد الاستبداد ، وإننا لنحن العابثون بحكومة عبد الحميد وحكومة رشاد ، ونحن نقول ان العاقبة للمتقين ، ولا عدوان إلا على الظالمين ، وان الأعمال بالخواتيم

وما الهينا منكم بمشفق قبا وطالما اشفى الهناء النقا  
فاذا لم ينصف الوالي الجديد القوم فستنصفهم المحكة العرفية وان لم تنصفهم  
المحكة العرفية فستنصفهم الخليفة محمد رشاد بنفسه ، ويكون حزب الحق هم الغالين  
وحزب الفساد والاستبداد هم الخاسرين

#### مظالمنا في طرابلس الشام

نحن أقل الناس تعجبا مما أصاب كرد علي من الظلم لأننا من أوسعهم علما بمحظ بلادنا السورية القليل من الدستور لسوء حال الحكم وجريانهم على ما تعودوا من الاستبداد وجهل جمهور الأمة بطرق مراقبتهم ومطالبتهم بالعدل والتظلم من كل هيئة حاكمة الى ما فوقها على ضعف هذه الهيئات كلها في هذا النوع من الحكم . وعلمنا هذا بعضه نظري مبني على قواعد علم الاجتماع والسياسة وبعضه اختباري بالاطلاع على أحوال الحكم وبالدخول في المحاكمات بأنفسنا :

ظلمنا في عهد الاستبداد ظلما يتنا لا يجهله أحد من حكام بلادنا ولا من الاهالي . ظلمنا في أنفسنا وفي أموالنا وفي أوقافنا وسبب هذا الظلم هو ان أحدنا صاحب مجلة المنار ، وقد نشرنا في الجزء الماضي ما كتب في جريدة بيروت الرسمية من اتهام صاحب المنار هو واخوته بالجناية ليعرف الاجنبي كما عرف الوطني سبب ظلمنا والاعتداء على حقوقنا . وقد حال الحول على الدستور ولم ترجع الحكومة الدستورية إلينا شيئا مما سلبته الحكومة الحميدية منا فضلا عما سلبه الاشقياء منهم برضاها بظلمها وعدم الاتصاف لنا بمن يعتدي علينا



## ٧٩٨ مظلنا في طرابلس . هضم قاضيا للحقوق ( المارچ ١٠ م ١٢ )

توفي والدنا وجنود الاستبداد محيطة بداره فمكنت الحكومة الاستبدادية بعض المهجمين على الحقوق مما كان في تصرفه من حصة الاموال الأميرية الموجهة على أجدادنا من سلاطين آل عثمان الكرام المتسلسلة اليه من ذريتهم بغير توجيه شرعي ولا نظامي ومن أوقاف مسجدنا أيضا . وكنا كتبنا في المنار ان نائب طرابلس في ذلك العهد وجه ذلك عليه مخالفا لقانون نظام التوجيهات المصرح بأن ما كان على الرجل من مثل هذه التولية يوجه بعد وفاته على أكبر أولاده . ثم تبين لنا انه ليس هالك توجيه صحيح وأقنا الدعوى في المحكمة الشرعية لان صاحب هذه المجلة هو أكبر أخوته وأرشدهم وقد مرت السنة ونائب طرابلس يماطل في الدعوى ويلوي ولا يفصل فيها على وضوح الحق وظهوره ، ولماذا ؟ العلة يعرفها كل أحد : على أنه قرر في اثناء الدعوى ان الحصة الموجهة من السلاطين على أجدادنا لم توجه بعد والدي على أحد وانه رأى ان يوجهها موقتا على خصمي مع أخ لي مناصفة الى أن تنتهي الدعوى التي لا يريد انهاءها إلا إذا أنا أرضيته وما أنا بالذي يرضيه نعم قرر هذا النائب ( عبد المجيد افندي الجعفري ) ان الحصة المذكورة ( وتسمى حصة السبعة اقرار يطأ والسبعة السهام ) لم توجه بعد والدي على أحد واما ما دعوى فيها ان خصمي ( محمود حسن ) اعتدى على هذه الحصة عدة سنين وأكلها بغير حق وهو يعلم اني صاحب الحق فيها كما هو مقرر في قانون التوجيهات فكيف وجهها الى خصمي المغتصب ولم يوجهها الي ؟ السبب في هذا هو أنه حاكم مستبد في حكومة يرى هو انها اقرب الى الفوضى من الحكومة الاستبدادية الماضية فاذا كان لا يخاف من الله ولا من الحكومة العليا ان تسأله عن ظلمه وتماقبه عليه فماذا يمنعه من تمكين المجلس لهذه الحصة زمنا ثم يوجهها عليه توجيهها موقتا بعد ثبوت اختلاسها اياها عدة سنين قبل هذا التوجيه الموقت . وهذا ماذا يخاف عبد المجيد الجعفري بعد ان ثارت عليه طرابلس بقضها وقضيضها وهجم الاف من أهلها على المحكمة لاجراجه منها أو الفتك به لسوء سيرته واشتماره بهضم الحقوق وانتهاك حرمة الشرع و بعد أن ارسلت العشرات من الشكاوي عليه بالبرق الى شيخة الاسلام ونظارة الداخلية وولاية بيروت ، وبعد ان أمر شيخ الاسلام بمحاكمته في ولاية بيروت فكان من رأي المجلس الذي عقد لمحاكمته الصالح بينه



## ( المارچ ١٠ ١٢٠١ ) حال الفيلق السادس في بغداد ٧٩٩

وبين خصمه بعد ان ظهر لهم وجه اداته والحكم عليه !! ولماذا ؟ لانه رجل ذو عيال !  
فهل تكون هذه القاعدة متبعة في حكومتنا ومرضية عند امتنا ونكون معها امة  
دستورية وحكومة دستورية ؟ لا لا . وهل يكون من ينجو من كل هذا في  
عصر الدستور ماليا بسلب الحق من صاحبه واعطائه لغيره ؟

هذا الصلاح والاعضاء عن حاكم يعث بالشريعة ويضيع الحقوق فتعذر الحكومة  
لانه ذو عيال مدعاة لافساد الصالح من الحكم فضلا عن استمرار الظالم على ظله  
تزوج الجعفري على ام اولاده فتاة في الرابعة عشرة من سنّها المجرد التمتع وهو في سن  
الستين ليس في لحية شعرة سوداء . ولا يبعد ان يتزوج فتاتين أخريين ويفتح  
اربم بيوت على قلة راتبه الشهري ، وهل يمنعه قلة الراتب من ذلك والحكومة  
الدستورية تبيع له الاستبداد وهضم الحقوق والحكم بالباطل جهرا كما فعل ذلك علم  
اليقين في قضيتنا وكما يلهج به الناس في بلادنا

استغفر الله إن الحكومة الدستورية لا تبيع له ذلك بطبيعتها وشكلها ولكن  
ليس عندنا رجال يقيمون هذه الحكومة على قواعدها ، على ان المحاكم الشرعية لم  
يكن لها حظ من الدستور فلا الاحكام فيها تجري بالمشاورة كمحاكم مصر ولا المشيخة  
الاسلامية رئيسة هذه المحاكم توجه اليها مفتشين يعقبون احكام النواب ( القضاة )  
فيقل عبثهم بالشريعة ولا هي تضع لهم كتابا كالجلّة يلزمون الحكم بمسائله . فاذا طال  
العهد على هذه الفوضى في المحاكم الشرعية سقطت قيمة الشرع من نفوس العامة  
وبطلت ثقتهما به فنوجه عناية المشيخة الجليلة الى ذلك

## ﴿ حال الفيلق السادس في بغداد ﴾

جاء في جريدة الرقيب البغدادية مانصه مع تصحيح قليل :

ذكرت رصيفتنا ( بغداد ) في عددها ٤٨ ان قد اجتمع في النادي العسكري  
امراء وضباط الفيلق اجتماعا عموميا وتذاكروا في أمر الفيلق السادس وأخطاطه وتدنيه  
وكان من نتيجة هذا كراتهم ان بشوا بتغراف الى الصدارة ونظارة الحربية والداخلية وقد  
وقفت على صورته وأدرجته بنصه بالتركية فأثرنا درج ترجمته بالعربية وهذه هي :

## ٨٥٥ حال الفيلق السادس في بغداد ( المئارج ١٠ م ١٢ )

« ان فيلقنا باعتبار الأعداد هو الفيلق السادس وهو الحارس الوحيد لقسم مهم من أقسام الملك العثماني ولكنه لما توالى عليه من المصائب والزوايا في السنين العديدة نزل الى دركة من السفالة والضعف . ولذلك لم نزل الدواهي تتوالى على أفرادهِ حتى لو جُمعت لبلغت أعظم مبلغ يمكن تلفه في حرب دموية عظيمة بل أضغاف ذلك . فهذه المصائب أوقعت في المخاطر وشوشة نظامه لدرجة فوق العادة .

فالיום فضلا عن وجود الأفراد الاحتياطية يوجد ٢١ قابورا من الرديف أيضا تحت السلاح ومع ذلك فالأمن العام مختل بصورة لا يمكن ان تليق بالشرف العثماني ولا تقوم بشأنه وشوكته .

فالعراق اليوم بكل اطرافه بوثة مصائب . والفيلق بجميع جهاته كل فرقة منه توجب الأسف الشديد لما هو فيه من الإضرار وما هو متصور من زيادته شيئا فشيئا ولا سبب الا سوء الإدارة . وقد ترك هذا الفيلق الذي لم يزل في كل دقيقة يخطو خطوة لهاوية الاضمحلال منذ تأسيس الحكم الدستوري دون سائر الفياق بلا قومندان ولا صاحب ولا رئيس أركان حرب !

فالاغتناء به اليوم لا يوازي عشر ما كان عليه عندما افتتح نجد اوسكن تلك الفوائل بأجمعها . فلو وجد قومندان مقتدر فعال ( لا كمن لا أثر له سوى كونه عبئا ثقيلا على بيت المال ) لتمكن من إعادة شرفه وشوكته وسطوته بهذه القوى المتفرقة الضعيفة .

فبناء على ذلك ان كان ثمة للحكومة العثمانية احتياج الى هذا الفيلق أو كان هذا الفيلق محدودا من فيالق الحكومة الدستورية فيجب تعيين قومندان فعال مقتدر وكذا رئيس أركان حرب وكذا امراء يكونون اهلا لهم اندانية الصنف بأجمعها وارسالهم بالصورة السريضة فان في ذلك صونا له من الاضمحلال المحقق والتلف المحقق به .

إننا للأسف لعدم وجود مقتدر في هذا الفيلق للقيام بالوكالة لحين وصول من سيعين له فلا يقتضي العهد في الوكالة الى أحد من الموجودين قط وقد حررنا ذلك خدمة لصالح هذا الفيلق في الحال والاستقبال وباسم هذه الخدمة طلبنا ذلك . »

( تصحيح ) في « س ١١ و ١٢ ص ٧٥٥ » من هذا الجزء : ان الابرار يشربون من كأس : والنواب : ويسقون فيها كأساً . الخ